تجليات الزوال في شعر ابن حمديس الصقلى

(447هـ ـ 527هـ)

(رؤية نقدية)

أ. م. د حسين مجيد رستم الحصونة

جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الانسانية

التوطئة

يشكل هذا المنجز البحثي خطوة من خطوات البحث الادبي التي تعنى بدراسة تجليات الشعور بالزوال والتشظي وعلاقتها بالأداء النصي، ودوره في إنتاج الدلالة الشعرية وتشكيل معطياتها، اذ يقف عند ظاهرة نفسية تكاد تشكل ملمحا اسلوبيا وتعبيريا مهيمنا في نتاج الشاعر ابن حمديس الصقلي الذي عاش آلالم الفراق وأحس عذاب الغربة وعدمية الدنيا الفانية، ولعلنا لا نبتعد عن الحقيقية كثيرا اذا قلنا ان ظاهرة الاحساس بالزوال والتلاشي وما ينتج عنها من معاني ودلالات تتعلق بالشعور الانساني المعبر عن الاضمحلال والعدمية والتشظي الوجودي ازاء الظروف الحياتية القاسية وما شابها من تعاسة وضيق وحزن شكلت جزءا كبيرا من نتاج الشاعر، فضلا عن ذلك شكل الزمان الفيزيائي، والنفسي، والبعد المكاني ودلالاته التعبيرية اهم تلك المظاهر التي وجد المبدع نفسه متقلبا بين امواجها العاتية. ولعل الموت وانتظاره وتصور النهاية الحتمية التي تشتت الاحبة، وتفرق الاصحاب وتنذر بنهاية الانسان وتحوله الى العدم كما يرى بعض الفلاسفة هي الاكثر ظهورا في

النص الشعري عند الشاعر موضوع البحث، وهذه التجليات الزوالية وما يرتبط بها من ايحاءات نفسية احدثت عملية غير متزنة في الشعور والاحساس بين عالم الشاعر (نزعاته ورغباته ومشاعره والاحساس بالوجود والعدمية)، وبين العالم الاخر (المجتمع)؛ لان الشعور بالزوال يوازي الشعور بالموت وانمحاء الاثر وانعدام البقاء أي بعبارة اخرى انتفاء الحياة بكل وجودها المعنوي والمادي، وهذا يعني ان كل ما يوحي بالزوال ودلالاته يدخل ضمن هذا المفهوم[1].

وقد اجاد ابن حمديس الصقلي في تجسيد ذلك في نصوصه الشعرية عندما عمد الى جمال الصياغة والمعاني المؤثرة والصورة المعبرة بوصف النص مرجعية ذاتية غنية بالمعاني، وعالما يمور بالمعاني والايحاءات[2]؛ ولان النص بمعطياته البنائية والتركيبة والايحائية يمكن توصيفه مرآة عاكسة لشعور المبدع وتصوراته الوجدانية وخلجاته النفسية، ويمكن للدارس ان ينتفع من معطيات علم النفس وعلاقته بالأدب في قراءة شخصية المنتج والوقوف على اسراره النفسية عن طريق الاشارات التي يوحي بها النص الادبي، التي لا يمكن للمبدع اخفاؤها وهذا ما يفسر طبيعة العلاقة الترادفية بين الادب وعلم النفس، ومن هذا المنطلق نعي جيدا ان ابن حمديس الصقلي شاعر اندلسي اضطربت به الحياة واخذته في مآخذ شتى يتلاطم بين رياحها ومتغيراتها وقسوتها، ولهذه المتغيرات صدى واضح على نفسيته واحاسيسه ومشاعره ويمكن ان ندرك اثر ذلك في نتاجه الشعري كما اسلفنا مصورا تلك الآهات والاحزان والشعور بالعدم ، ويبدو ان الشعور بالزوال والاضمحلال والتيه والاغتراب الذاتي والغربة عن الوطن بوصفه من اشهر شعراء الحنين والابتعاد عن الاوطان عاش الاغتراب النفسي والذاتي هو الذي رسم معالم الحياة المأساوية / الضيق / الخوف / الترقب / الشكوى / البكاء / الانكفاء على الذات / القلق / الصراع النفسي عنده، وقد انطلق الشاعر في ذلك كله من ذاته الفردية المطلقة الى الذات الاجتماعية يتغنى بأتراحه واحزانه وأمانيه فعاش في ذاته صراعا دائما بين الواقع المعاش والواقع المثال، ومن كل هذه المتناقضات انبثق الفن ودواعيه الذي كان صورة معبرة صادقة لنفسيته المضطربة القلقة، وهو شأنه شأن اولئك الفنانين الذين يحبون مثل هذه الحياة ويرغبون في كل شيء ولا يرضون عن شيء[3].

ومن الجدير بالذكر ان البحث انطلق في بناء فكرته وقراءة نصوص الشاعر موضوع البحث متأثرا بدراسة اخرى قام بها احد الباحثين متناولا الشعر الجاهلي مضمارا تطبيقيا لبحثه الإجرائي [4]، وسنقف عند

مظهرين مهمين من مظاهر الزوال والشعور بالذهاب والتلاشي بدت ملامحهما واضحة في نتاج الشاعر ابن حمديس الصقلي، اولهما: تجليات الزوال الوجودي الانساني، وثانيهما: تجليات الزوال الزماني.

الزوال لغة واصطلاحا:

الزوال لغة (زول): الزوال: الذهاب والاستحالة، والاضمحلال، زال يزول زوالا وزويلا وزؤولا ؛ وزال الشيء عن مكانه يزول زوالا وأزاله غيره وزوله، وأزلته وزولته وزلته أزاله وأزيله وزلت عن مكاني أزول زوالا وزؤولا وأزلت غيري إزالة، والزول الحركة ؛ يقال: رأيت شبحا ثم زال أي تحرك. وزال القوم عن مكانهم إذا حاصوا عنه وتنحوا. والزول: الزولان زال الملك زوالا، وزال زواله إذا دعي له بالإقامة. وأزال الله زواله. وقال: يعقوب: يقال: أزال الله زواله وزال الله زواله يدعو له بالهلاك والبلاء؛ ومنه وقول الأعشى:

هذا النهار بدا لها من همها
ما بالها بالليل زال زوالها؟

وقيل: الزوال معناه الذهاب وزال الظل زوالا كزوال الشمس، ويقال: أخذه الزويل والعويل لأمر ما أي أخذه البكاء والحركة والقلق والانزعاج بحيث لا يستقر على المكان، و يزول في الناس أي يكثر الحركة ولا يستقر، والمزاولة: معالجة الشيء يقال: فلان يزاول حاجة له، وهذا كله من زال يزول زولا وزولانا[5].

اما الزوال اصطلاحا: فيعني « الاضمحلال والاندثار والتلاشي سواء في الجانب الحسي، او الجانب النفسي، فالشعور بالزوال يوازي الشعور بالموت، وانمحاء الأثر، وانعدام البقاء، اي انتفاء الحياة، .... اذ إن كل ما يدور حول الإنسان عبر رحلته في الحياة يمثل وجهاً من وجوه الزوال، والاندثار، والتلاشي، فالتفرق بعد الاجتماع والرحيل بعد الاستقرار، والشيخوخة بعد الشباب، تمثل معادلاً موضوعياً للزوال » [6].

اولا: تجليات الزوال الوجودي/الانساني

يعد المظهر الوجودي / الانساني احد ابرز معالم الزوال والتلاشي والعدمية وما ينبعث عنهما من حالة نفسية تنعكس انعكاسا مباشرا على الرؤية الابداعية / البؤرة الاساس التي تصور عوالم الانسان / الشاعر الذاتية والشعورية والوجدانية وتهتم بكل ما يتعلق بمعطياته الحياتية والنفسية التي يفرزها واقعه المعيش وتنعكس اثارها وصورها في عالمه المتخيل رؤى، ودلالات وايحاءات تعبر عن معاناته النفسية وصراعاتها التي تختلج عوالمه الداخلية التي تثير قلق الانا

واضطرابها، وتحفز ادراكها لابعاد الشعور بالزوال والتشظي لان تجليات الوجود ترتبط ارتباطا وثيقا بوجوده الانساني وتحقق ذاته التي تشغل حيزا من الكون والحياة وهذا يعني ان الزوال وتجلياته المتعددة آفة في وجه الوجود الانساني لا يمكن مواجهته او الوقوف في طريقه بقصد اعاقة تقدمه ؛ لانه يسيطر على حياة الانسان، ويهدد وجودها بالعدم والتلاشي، ويبدد الفرح ويحول الآمال الى هباء منثورا، وبهذا يمكننا القول ان كل ما يدور حول الانسان ويتحرك في محيطه الوجودي من اندثار، او تلاشي، او افتراق بعد اجتماع، او رحيل او غياب، او هرم وشيخوخة بعد شباب، او سقم بعد صحة، او مال او ملك تمثل معادلا موضوعيا لمعنى تجليات الزوال ودلالاته المتعددة، فالشعور بالزوال يوازي الشعور بالموت وانمحاء الاثر، وانعدام البقاء ويساويه في درجة الشعور النفسي أي انه يعني انتفاء الحياة، فكل ما يوحي بالزوال يدخل ضمن هذا المصطلح[7].

1 -حركية الموت وتشظيات الذات:

الموت من ابرز تجليات الزوال التي شغلت فكر ابن حمديس ووجدانه الشعوري واخذ حيزا واسعا من فضائه الشعري، وقد اقترنت دلالته بنهاية الحياة وفقدان الامل والعدم والفناء، فيحدث بدلالاته خوفا ورعبا داخل النفس الانسانية / المبدعة ويبعث مناجاة نفسية تجسد « حالة انفعالية تتفاوت درجات شعورها»[8]بحسب طبيعة المؤثر الذاتي المنبعث من الموت واجوائه وشجونه وما يتركه من اثار نفسية وفيسيولوجية يمكن ان نلمس ملامحها الاسلوبية والتعبيرية في النص الشعري بوصفه مصدرا توجيهيا يمكن الاتكاء عليه في عملية التحليل النفسي، وطريقة تقويمية في فهم معطيات النص وايحاءاته وما يزخر به من ايهام وتعقيد اذا امنا ان النص الابداعي مرجعية ذاتية غنية بالمعاني[9]وعالم يمور بالدلالات والظلال التي تحاول تحقيق الذات الشاعرة عن طريق الابداع والفن الشعري ؛ لان الفن بصورة عامة «وسيلة لتحقيق الرغبات فى الخيال، تلك الرغبات التى أحبطها الواقع إما بالعوائق الخارجية أو المثبطات الأخلاقية » [10]. ومن ذلك قوله: [11].

أَرى المـوتَ في عيني تخيّلَ شَخْصُه
ولي عُـمُـرٌ في مثله يَـتّـقـي مثلي
وكادتْ يدٌ منه تشدّ علـــــى يـــدي
ورجـلٌ له بالقُرْبِ تمشْي على رجلي
وَفي مَدِّ أَنفاسي لَـــدَيَّ وجَـــزرِها
بقاءٌ لنفسٍ غَيـــــــرِ متُصّل الحبلِ
ثمانونَ عاماً عِشتُـــها وَوَجَدتُـــها
تهدّمُ ما تبني وتخفـضُ مَـــنْ تُعلي

اعتمد الشاعر الفن الاستعاري في بناء الصورة الشعرية عن طريق تشخيص

الموت وتجسيده بهيئة انسانية (التشخيص الإيحائي)، وخلق له ذاتا تحمل كل مقومات الانسان عن طريق الكلمات التي هي قوام بناء الصورة الشعرية المتكئة على الاسترجاع الذهني [12]، ويبدو ان المبدع اقام هذه العلاقة الذهنية التفاعلية بين تشخيص الموت واستعارة صفات الانسان له من اجل زيادة التأثير والمبالغة في وصف الموت وبيان اثاره الشعورية في الذات المبدعة، ومنح مخياله الشعري الفعالية والنشاط في الولوج الى عوالم تعبيرية تجسد طبيعة معاناته النفسية، اذ جسد الموت وشخصه على انه شخص يتبعه اين ما حل ماسكا بيده لا يفارق خطواته فهو ظل له ورفيق لا مناص من رفقته، وقد خلق التعبير الاستعاري انسجاما وتآلفا بين معطيات التصور الشعري دلنا على قدرة ابن حمديس وموهبته الشعرية والفنية على استعمال الشكل اللغوي والادائي في تكوين سياقات تصويرية تخلق لنا شيئا جديدا عندما نقل لنا أنثروبولوجيا الانسان وذاته المألوفة الينا وادخلها في اطار مغاير لها (وصف الموت)، وهذا يعني انه يسعى الى اثارة دواخل المتلقي وزيادة درجة تفاعله مع ابعاد تجربة الشاعر الوجدانية القائمة على استمرار حركية الموت المتصل بالزوال الانساني والتلاشي للوجود في هذه الدنيا مع استمرارية حركة الموت التي لا تتوقف، وهذا ولد لدى الشاعر شعورا نفسيا يؤمن باستحالة البقاء وتتحقق عن طريقه النظرة الى الحياة على انها رحلة في عمقها الدلالي للرحيل والغياب الابدي المقترن بالتفرق والتباعد والتلاشي[13] الذي يثير في عوالمه الشعورية احساسا عميقا يدفع به الى البوح النفسي والشكاية من تلك النهاية الحتمية (**بقاءٌ لنفسٍ غَيرِ متُصّل الحبلِ**).

وقد يتحول معطى الموت والاحساس بدنو الاجل الى قوة فاعلة ضاغطة تسيطر بوضوح على مظاهر الزوال الوجودي للإنسان، وتحطم اطار هذا الوجود من الناحيتين الزمانية والمكانية بكل ما تحمله من دلالات نفسية وشعورية، فتصبح الانا تحت وطأة التشظي ولاعودة ويفقد الشاعر الرابطة العلائقية بينه وبين الحياة ويتحول الى منتج سلبي ذاتي في نظرته الى الحياة والوجود بكل معانيه اذ يقول[14].

ثمانونَ عاماً عِشتُها وَوَجَدتُها
تهدّمُ ما تبني وتخفضُ مَنْ تُعلي

إن فقدان الامل وعدم الاحساس بالوجود (ثمانونَ عاماً عِشتُها وَوَجَدتُها)يدفع الانا الشعوري الى العيش في اطار الانهزامية والزوال والعدمية وفقدان الاحساس بالمحيط الاجتماعي، اذ وجد الشاعر ان تقدم العمر به حتى بلغ الثمانين (تهدّمُ ما تبني وتخفضُ مَنْ تُعلي) ادى الى هيمنة رؤيته القائمة على

العدمية على احاسيسه ومكامن شعوره فصار لا يرى في الكون / الحياة الا الهلاك [15].

ثم ان دلالة الموت عند الشاعر موضوع البحث وتجسيدها في الاطار الرؤيوي للإبداع تعبر عن حالة نفسية تنطوي على شعوره بالزوال والمفارقة للحياة، فتشكل تلك الدلالة الشعورية مدعاة للإحساس بالانسلاخ من هذه الحياة ومناجاة الذات الشعورية المتأزمة من الناحية النفسية بسبب اسقاطات الشعور بالنفي والعدم التي تولد الاحساس بالانفصال او العجز في مواجهة الحقيقية المتعلقة بالموت والفناء بوصفها البؤرة الرئيسة / الاساسية المجسدة لمظاهر الزوال الانساني بجوانبه المختلفة، فتسعى الانا بكل امكاناتها الى خلق عالم جديد اخر يبعد عنها الاحساس بالعدم، واكبر الظن ان هذا الاحساس هو الاطار الفسيولوجي الخانق للذات الشاعرة، وهنا يصبح النص الشعري صورة انعكاسية يقع على عاتقها التعبير عن ذاتية التجربة الشعورية ؛ لان المبدع « يحس بالموقف ويتفاعل معه نفسيا وفكريا ثم يصوغ ذلك في قوالب لفظية وفي صور موحية يشاركه القارئ شعره او سامعه احاسيسه ومشاعره وبمقدار هذه المشاركة يتحدد نجاح الشاعر او اخفاقه »[16] ومن مثل ذلك قوله: [17]

أبادَ حياتي المـوْتُ إن كنتُ سالـــيا
وأنـتَ مقيمٌ في قيـــــودكَ عانيا
تعريتُ من قلبي الذي كان ضاحكاً
فما ألْبَسُ الأجفْـــــانَ إلا بواكيا

لقد فرق الموت حياة ابن حمديس وبدد شملها في مقارنة شعورية جعلت من الرثاء ضربا اساسيا في اطارها القولي وقد اشارت لفظة (اباد)الى شدة هذا التفرق والنوى الذي احدثه الموت عندما جعل تلك الابادة ماضية من ناحية الزمن والحدوث وكأنها شيء حتمي وقع وانتهى لا رجعة فيه، وقد شكل الزوال فيها معلما من معالم الشعور النفسي عند المبدع بوصفه غيابا كليا للذات الانسانية التي ارتبطت بالعدم والتلاشي نتيجة للممارسة القسرية للموت وسطوته المنيعة على مدارك الوجود الانساني، وهذا يعني ان الموت او الاحساس المنبعث عنه من حيث دلالاته وايحاءاته يجسد بعمق صورة البلى والاندثار للذات « عنصر جوهري في الوجود فحيث يكون وجود يكون بالضرورة موت » [18]

ويبدو ان هاجس الموت والفناء وصورة الاحساس بهما لم تفارق مخيال الشاعر موضوع البحث بل ان الموت اخذ منه مأخذا كبيرا في الاطار التعبيري والتصويري المعتمد في نتاجه النصي والملازم لبناء صورته الحزينة ذات الانبعاث الشعوري القاتم، فقد وردت لفظة (الموت)وما يشتق من جذرها اللغوي اكثر من « 85 مرة» في

ديوانه الشعري مما ولد لديه حالة مستديمة من القلق والتوتر النفسي دفع به الى تصوير المصائب العظيمة (الرزايا)وهي تقف على منابر شعوره خاطبة بالعدم والتشظي معلنة عن عظيم ذلك الاحساس الحزين الباكي وفداحة الخطب الجليل الذي يقطع نياط القلب وينفي عنه السرور، اذ يقول [19].

خِطابُ الرَزايا إنّـــــهُ جلل الخَطْبِ
وسَلْمُ المَنايا كالخَديعَـــةِ في الحربِ
تُريدُ مـــــنَ الأَيّام كَفَّ صُروفِـــها
أَمُنتَقِلٌ طَبْعُ الأفاعـــي عـــنِ اللّسبِ
وتَلقى المنايا وهـيَ في عَـرَض المُنى
وكم أجَلٍ للطير فـــــي مَلْقَطِ الحَبِّ
تناوَمَ كلّ الناس عمّـــــــا يُصيبُهُم
وهمْ من رزايا دهرهم سَـــلَمُ العَصْبِ
بكأسِ أبينا آدم شُرْبُنـــــــــــا الّذي
تضَمّنَ سُكرَ المَوْت يـا لك من شرْبِ

ان محاولة الشاعر على اختلاف بعدها الزماني والمكاني العاجزة عن قهر الموت خلقت في داخله صراعا يأسا وجهدا ضائعا امام تلك الارادة السلطوية للموت الحاملة لعنصري المفاجأة والمباغتة مما يولد في داخل الانا الشعوري واللاشعوري باعثا نفسيا لعملية الهدم، والضياع التي لا يمكن للمبدع التخلص من احاسيسها الشعورية، وهذا الصراع الذاتي يلقي النفس الانسانية / الذات المبدعة في دائرة الزوال الوجودي والتيقن بعدمية الحياة [20] فيزداد شعوره بالاضمحلال والتشظي ويرتفع عاليا فقدان الامل والطموح بعدما تسرب اليأس الى نفسه فزاد احساسه بالموت واستحالة دوام الوجود الانساني وبقائه، مما قاده الى اليأ س والانقطاع والانكماش. وهذا الخوف واستمراريته داخل الانا الانساني القائم على صراع الحياة والموت اخذ بعدا فلسفيا يكشف عن مواطن خضوع الانا واستكانتها تجاه ايحاءات الموت ودلالاته المعنوية مما دفع بالذات الشاعرة الى ان تلوذ بصمت بهدف خلق عالم جديد تعيش به بعيدة عن الالم النفسي والواقع المؤلم الذي يحيط بأبعادها كافة، أي بمعنى اخر محاولة الذات ابعاد ازمتها النفسية او التقليل من حدتها الشعورية بالاعتماد على مهاراتها التعبيرية والشعرية وهواجسها الذاتية ومثيراتها الحسية التي يتفاوت تأثيرها على المتلقي عندما يحاول المبدع ان يعي الوجود وامكانية تحطيم هذا الوجود عن طريق التكيف الشعوري واللاشعوري لموقفه النفسي (السيكولوجي)جاعلا الموت سنة (أبِينا آدم)عليه السلام وكأس شربه وارث ملازم لكلّ نفسه، فيقول: [21].

بكأسِ أبِيـــنا آدم شُرْبُنـــــــا الّذي
تضَمّنَ سُكرَ المَوْت يا لك من شرْبِ

انه قناع شعوري او تعويض نفسي اخرج

به الشاعر آهاته ولواعج حزنه عندما حاول اثبات الموت ونفي الحياة ومحاولته السمو بذلك، فيخرج النص الشعري المنتج معبرا عن هذا الاتصال والاندماج الذاتي والنفسي و يخلق نوعا من التوافق النفسي، فالخوف، والارتباك، والتلون الشعوري الذي يولده الموت في الذات الشاعرة يمنح التعبير الشعري القدرة في الكشف الوجداني بوصفه نوعا من انواع الاسقاط النفسي الذي يخفف هذا التوتر، ومن مثله قوله: [22]

يدُ الدهرِ جارحةٌ آسيَهْ
ودنْيَاكَ مُفْنِيَةٌ فانيَهْ
وربّكَ وارثُ أربابها
وَمُحيي عظامِهمُ الباليه
رأيتُ الحِمامَ يبيدُ الأنامَ
وَلَدْغَتُهُ ما لها راقيه
وأرواحنا ثَمَرَاتٌ له
يَمُدّ إليها يداً جانيَه
وكلّ امرئٍ قد رأى سمْعُهُ
ذهاباً منَ الأمَمِ الماضيه
وعاريةٌ في الفتى روحُهُ
ولا بدّ من رَدّة العاريه

وهكذا يمكننا ان نلحظ مظاهر الاندثار والزوال النفسي والذهاب بوصفه شعورا قد استولى على الذات المبدعة التي لا تستطيع ان تنفك منه، عندما تصبح (يدُ الدهرِ جارحةٌ آسيَهْ) تقطع اوصال الحياة باعثة فيها مصير الفناء، والاضمحلال الحياتي ولا سيما اذا علمنا ان ارتباط لفظة (جرح)في اطارها الدلالي والايحائي يكمن في تجسيد معنى العيب والافساد فضلا عن ذلك فان سعة الشعور بالزوال دفعت الذات الى محاولة التقليل من هذا الشعور عندما زاوجت بين آثاره وبين منابع الاسكات الشعوري الذي تمثله معطيات الفلسفة الاسلامية ونظرتها الى الحياة التي يجسدها قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ23) ﴾ ويبدو ان دلالات النص القرآني الكريم ومعانيه المتعلقة بالبعث والرجعة خففت من غلواء الشاعر وتأزمه النفسي اذ يقول: [24]

وربّكَ وارثُ أربابها
وَمُحيي عظامِهمُ الباليه

ان الكيان الذاتوي للمبدع يحاول وكما هي طبيعة فلسفة الشعر وادائه النصي ان يخلق واقعا اخر صنعته الذات من معطياتها الشعورية والوجدانية، وهو نتاج طبيعي ؛ لان المبدع يحاول ايجاد ذاته اوعالم خاص به والتعبير عن ذلك عن طريق منجزه الشعري الذي يحقق طموحاته ويقلل من الفجوة النفسية التي احدثها الواقع فتضخمت الانا لديه محاولا تعويض هذا الشعور باللجوء الى الموروث الثقافي المتمثل بالمقدس الديني،

وعلى المتلقي هنا ممارسة فعل القراءة النصية على مستوى فكري وثقافي من اجل استيعاب العمل الفني (النص الشعري ومعطياته الدلالية)وظروف انتاجه.

ومن تجليات الزوال والاحساس بالذهاب والتلاشي التي يمكن للدارس ان يلحظها بشكل واضح كما اسلفنا في شعر ابن حمديس إحساسه العميق بالموت، ونحن نعي جيدا ان طبيعة تأثير لفظة (الموت) وايحاءاتها النفسية على الانسان / الشاعر وكيف تلقي بظلالها القاتمة التي تقطع نياط القلب والوجدان، بوصفها قوة لا تستطع الانا دفع اثارها عنها، فهي عاجزة تمام العجز عن ذلك، وهذا العجز يولد داخل الانا شعورا بالإحباط يدفع بها في اغلب الاحايين الى البحث عن وسائل معينة توافر نوعا ما استقرارا نفسيا يبدو انه وهميا في الاعم الاغلب، وان بدا لنا عدمية ذلك ؛ لان حقيقية الموت مصير كل حي، فتعجز الرقي والعزم على المداواة بها عن دفع سمومه وآهاته وتسلطه المقترن بحتمية الذهاب والانتقال، وهذا ما ذهب اليه ابن حمديس في قوله: [25].

رأيــــتُ الحِـــــمَامَ يـبـيـدُ الأنـــامَ
وَلَـدْغَـتُـهُ مـا لهـا راقـــــيه

وما يؤكد قيمة الشعور بالموت والزوال في النص الشعري ويقينيته عند الشاعر قوله (رأيت)ولم يقل (سمعت)؛ لان الادراك الرؤيوي اكثر تصديقا ويقينا من الادراك السمعي، وفيه يتحول الفن الى عمل يبدو انه في اغلب الاحايين لا ينشد تأسيس حقيقية ما وانما يهدف الى زرع انطباع معين عن طريق رؤية المشاهد [26]وتجسيد الادراك الحسي له لا الى خلق تصورات عنه عن طريق الدعوى الى التبصر في المعطى البصري للنص في غياب حاسة السمع او الصوت او التلقي [27]، فضلا عن الاستبدال اللفظي الذي عمد اليه المبدع عندما ساق لنا لفظة ترادفية للفظة الموت وما ينبعث عنها من اسى شعوري يعصف بالنفس الانسانية وهي لفظة (الحمام)؛ لان لفظة الموت توحي بفظاعة الشعور الزوالي والاندثار الحياتي الذي يحاول ان يجعل متلقيه شريكا في معايشته والاحساس به، مصورا له حجم هذا الشعور وهالته وآلامه والآهات المترتبة على ذلك، ولو تأملنا لفظة (الحمام)ومعناه عند المعجميين الدال على تصارع الموت وقدرته وارتباطها بدلالات لغوية تؤكد حتمية الموت والفراق الذي لا لقاء بعده وقرب الاجل وتحققه[28]، يبدو للبحث ان الغاية من هذا الاستبدال اللفظي مصدره شعور الخوف والاضطراب النفسي الذي تولده لفظة (الموت)داخل انا الشاعر ومحاولته التخفيف من حدة هذا الشعور وايجاد بديلا معنويا ولفظيا يبعده عن مصدر ذلك الخوف والاضطراب. وكيف يرى السمع وباي اداة

يبصر في قول الشاعر: [29]

وكــلّ امــرئٍ قـد رأى سـمْـعُـهُ
ذهـابـاً مـــنَ الأمَـــم الماضيه

طبيعة الشعور النفسي دفعَت ابن حمديس الصقلي الى هذه المفارقة الدلالية عندما جعل الرؤية سمعية ومحاولته استبدال وظائف الحواس شعوريا بين اليقين (الرؤية)/ اللايقين (السمع)ونقل مدركاتها الحسية من البصر الى السمع ولعل الهدف من هذا التلاعب بمدركات الحواس وتباين وظائفها الاساسية هو مداعبة مخيال المتلقي واتساع دائرته التأثرية ليدرك حجم الشعور الذي تعانيه الذات المبدعة ؛ لان معالم التصوير الشعري خرجت عن المألوف وانزاحت في اطار التصوير الفني مبتعدة عن المعتاد، واكبر الظن ان الاحساس العميق بحتمية الموت والزوال والفناء والاندثار الذي هيمن على منابع احاسيس الشاعر ووجدانه الشعوري و اللاشعوري دفع به الى استبدال الدلالات المعنوية والمادية، بوصفها منفذا تعبيريا لذلك الاحساس العميق فضلا عن اهتمامه الواضح بالجانب التأثيري والجمالي للنص المنتج اذا آمنا « ان التراسل هو وسيلة من وسائل بناء الصورة بهدف الجمال الفني» ([30])فالذات الشاعرة وصراعها النفسي الذي انعكس على الانا (اللاشعور)وايمانها بحتمية الموت والفناء هو الدافع النفسي الذي خلق الصورة الشعرية [31]، وشكل معالمها الوجدانية ومنحها قيمة شعورية، فالتصور الذهني لطبيعة مظاهر الزوال يعد الزناد الذي اورى تلك الشعلة المتوقدة التي تكشف الاثار النفسية في نتاج الشاعر ؛ لان التذكر الواعي للمدرك الحسي كله او بعض منه وفي غياب المنبه الاصلي للحاسة المثارة والتعبير عن التجربة الحسية الشعورية / الفنية التي نقلت بطريقة البصر او السمع او اللمس او الذوق تدرك عناصر تلك التجربة وينقلها الذهن الى الشعر بطريقة من شأنها ان تثير في صدق وحيوية الاحساس [32]. وهنا يمكننا القول ان الشاعر موضوع البحث يحسن عملية الاتقان لمبادئ الجمال التأثيري للنص الادبي كما انه يحسن توظيف تقنيات التعبير التصويري والاسلوبي والثقافي جاعلا من هذا التصوير نتاج جديد يرتبط بذاتيته وابداعه ويضفي عليه من ظلاله وبراعته عندما يخرج تلك المعاني والايحاءات من الواقع الحقيقي الى واقع فني اكثر تأثيرا في النفس الانسانية ؛ لان الاثر النفسي اساس جمالي لا تستغني عنه النصوص الابداعية في تحصيل المتعة المقرونة بالقيمة[33]، فوظيفة التراسل الحسي تجاوزت الحدود المعنوية الى خلق معاني جديدة يحتاجها الخطاب التعبيري، لان سماع النقل التاريخي لمعطيات فناء الموت وحقيقة الزوال التي

جسدها قول الشاعر(رأى سمْعُهُ ذهاباً منَ الأمَم الماضيه)وتحول الادراك الى بصري / مرئي ينماز بالشمولية والتصديق عندما تعانق البصر والسمع في تعزيز وحدة التصوير ولإفهام الدالة على حتمية الزوال والذهاب وهذا يؤسس الى الفعل المنطلق لتلك المظاهر في نفس الشاعر ووجدانه عندما اشار الى ان اخبار الامم السالفة تحولت الى مشاهد مرئية وصور حقيقية في مكامن الشعور النفسي لديه. وقد كشف لنا الخطاب النصي طبيعة الواقع الذي يحاول المبدع محاكاته او تمثيله في فنه ؛ لان الشاعر مهيَّأ فيزيولوجيا ونفسيا لإنتاج نمط مميز من الصور الحسية يتكئ عليه واعيا او غير واع في اظهار اعماله التعبيرية التي تنطبع انطباعا حسيا في ذهنه ثم تتوجه مباشرة الى عين المتلقي، اما سمعه فلم يكن سوى آلة راصدة تلتقط الموروث الثقافي في هيئاته وتراكيبه من دون ان تضيف عليه شيئا في بعض الاحايين، وهذا يعني ان اغلب الصور تبقى محافظة على قيمتها البصرية سواء بالنسبة لطبيعتها التعبيرية والتأثيرية بوصفها صورا نفسية او بالنسبة الى متلقيها [34]، وروح الانسان وانفاسه وكل ما يتصل بوجوده يمكن توصيفها على حد قول الشاعر انها ذات أبعاد تداوليه مستعارة بين الحياة والموت ويجب ان ترد الى خالقها مهما طال بها البقاء اذ يقول: [35]

وعاريةٌ في الفتى روحُهُ
ولا بدّ من رَدّة العاريه

هذه الابعاد التي يشير اليها المبدع تكشف عن مظاهر الزوال الانساني وعدمية الوجود التي شغلت الفكر البشري في مختلف عصوره وعاش ابن حمديس نغماتها الحزينة ونيران آلامها الشعورية، فلم يعد يرى الحياة الا انعكاسا لتأزمه الشعوري الاسي فيرسم صورة تبدو على الاعم الاغلب انها سوداوية تجسده نظرته الى الحياة ونهايتها الحتمية.

ويلجأ ابن حمديس الى التكثير من افعال الموت ودلالاته في بناء خطابه الشعري عن طريق تكرار لفظة الموت تكرارا لفظيا مرة وتكرارا معنويا مرة اخرى عندما يعمد الى تعدد صفاته وافعاله، وهذا التكرار في النص المنتج يترك اثرا انفعاليا ونفسيا في المتلقي ووجدانه الشعوري[36]، ويجعله يتفاعل مع الحدث الشعري فيعبر التكرار عن رؤية المبدع النفسية ومعانتها الشعورية الناتجة عن شعوره بالتلاشي والزوال والذهاب اذ لا عودة، ويؤكد في الوقت نفسه طبيعة مظاهر الزوال الانساني / الوجودي التي تعيشه الانا ؛ لان التكرار يرتبط ارتباطا وثيقا بنفسية الشاعر، ويمكن ان نجد ذلك في قوله: [37]

أيّ خطْبٍ عن قوْسهِ المـوْتُ يرْمي
وسـهـامٌ تـصـيـبُ مـنـه فتُصْمي

يسرعُ الحيّ في الحياة ببرءٍ
ثم يُفْضي إلى المماتِ بسقمِ
فهو كالبدرِ ينقصُ النورُ منه
بمحاقٍ وكانَ من قبلُ يَنْمي
بِيضُ أيّامها وسودُ لياليـ
ـها كشهبٍ تكرّ في إثْرِ دُهْمِ
بَدَرَ الموْتُ كلَّ طائرِ جَوٍّ
في مَفازٍ وكلَّ سابحِ يمِّ
جَمَعَ الموْتُ بالمصارع منه
بين فُتْخٍ مَخَلّقاتٍ وَعُصمِ
كم رأينا وكم سمعنا المنايا
غيرَ أنّ الهوَى يُصِمّ ويعمي

تكشف لفظة الموت عن آهات عميقة ورؤية مخيفة اظهرت التحسر والتفجع والتوجع تكتنزها الانا وتحاول ان تنفثها الى من يشاركها هذا الالم، بسبب سيطرة الشعور بالعدمية والزوال والاندثار عليها نتيجة الاحساس المفرط بالغياب والرحيل الذي تعانيه الذات الشاعرة، وهي تتحسس ايحاءات الموت المرعبة وما يتعلق بهما من عملية الهدم والضياع وتحويلها الآمال والطموحات الى سراب وضياع، وقد كشفت امكانيات التكرار التعبيرية عن حقيقته الدلالية بوصفه اداة فنية كاشفة عن الحاح الشاعر على جهة مهمة في النص عن طريق عبارة او لفظة استولت على مكامن شعوره يُعنى بها اكثر من سواها لارتباطها الدلالي والشعوري بنفسية المبدع ومعاناته، فيقوم جاهدا الى تسليط الاضواء الكاشفة على نقطة تعبيرية حساسة تكشف عن طبيعة هذا الشعور، وهذا يعني ان التكرار ذو طبيعة دلالية نفسية فنية تكشف عن الاثر النفسي والوجداني للمبدع وتوضح مكامن اللاشعور التي يعانيها من اعماقه، فنطلع عليها عن طريق نصه الشعري [38]، وهنا نستطيع ان نفهم معنى الابداع الحقيقي عندما يقوم على حياة ملؤها مشكلات تثير القلق والاضطراب[39]

2 - جدلية المكان – الحضور والغياب

ان علاقة الشاعر بالمكان علاقة تأثير متبادل تتعدد وظائفها ومعانيها في اطار المعطيات النفسية والمادية وتمارس فاعليتها على الذات الانسانية ولا ينتهي تأثيرها عند حدود التبادلية والفاعلية هذه، بل تمتد الى جوانب مختلفة وتأخذ أبعادا متعددة تستحضر كل ما هو واقعي وخيالي ووهمي سواء كان على مستوى معيشة الشاعر في الوجود الحقيقي او استحضاره المكان في عالمه الشعري الذي يقيم لذاته وجودا فيه، او انه يخترع مكانا في الفن ويملأه في الوجود.[40]

وهذا يعني ان المكان في عملية الابداع الادبي / الفني لا يمكن النظر اليه بابعادة الجغرافية وانما يحمل ابعادا ودلالات مختلفة منها النفسي، والاجتماعي، والفكري،

والوجودي، وتنطلق منه اضاءات عديدة لفهم النص وطبيعة القصيدة الابداعية، وهذه الاضاءات الصادره عن المكان بوصفه ذي ابعاد مختلفة تتشكل« دائما وتتلون (على) وفق الحالة الانسانية » [41]للمبدع او الفنان وتحتوي على آلامه ومسراته، وهي في اصدق تصويرها انعكاسات لنفسية المبدع، ووسيلة تصقل موهبته الابداعية بما تكتنزنه من احلام وذكريات، وهنا يصبح المكان طاقة تتفجر عنها دلالات النص الشعري وايحاءاته ويغدو جزءا لا يتجزء من احاسيس الشاعر ماثل امامه في كل ساعة ولحظة شعورية ونفسية لا يكاد يفارق مخياله الشعري وفكره الانساني الوجودي وتؤدي حالته النفسية دورا بارزا في تشكيل رؤيته الابداعية تجاه المكان يتأثر في ظلاله ويدركه ادراكا حسيا مباشرا عن طريق معاناته وحزنه، وتشظيه، وانكساره، وتضاعف همومه، فيحاول استذكار كل ما يرتبط بالمكان ويحيط به من علائق مادية ومعنوية مثل علائق الحب او غيرها من رموز تشكل دواعي السرور او الم الذكريات [42]

ولعل اهم التجليات الزوالية التي تجسد علاقة الشعر بوصفة فنا تعبيريا بالمكان هو الوقوف على الاطلال وبكاء الديار والدمن التي يكتسب المكان عن طريقها بعدا نفسيا يمكن ان نفهم ابعاده ودلالاته عن طريقة طبيعة العلاقة القائمة بين الشاعر وتلك الامكنة التي غاب عنها الانسان وهذا الغياب يمثل موتا وزوالا لها ينعكس على حالة الشاعر النفسية، فتعيش الذات المبدعة شعور العدمية والتلاشي ؛ لان المكان اصبح مثيرا شعوريا للأحزان والكآبة المطبقة ولعل الذكريات التي يحملها البعد النفسي لمخيال الشاعر عن تلك الاماكن هي التي تجدد هذه الاحزان وتثير الاشجان والتداعي النفسي، فيقف ابن حمديس وقد تاقت نفسه على اطلال الاحبة وقفة حزن وبكاء تفيض الما وتضاعف الهموم والاحزان وتصور معالم الشعور بالزوال والعدمية والتشظي الذاتي اذ يقول: [43]

أيا جَزَعي بالدارِ إذ عَنَّ لي الجزعُ
وقاد حِمامي من حمائمِهِ السّجْعُ
وعاوَدَني فيها رِداعي ولم أشِم
ْترائبَ عُوّادٍ يُضَمِّخُها الدّرْعُ
وقفتُ بها والنفسُ من كلّ مقلةٍ
تذوبُ بنارٍ في الضلوعِ لَها لذْعُ
مُطِلّاً مُطيلَ النّوْح لو أنّ دِمْنَةً
لها بَصَرٌ تَحْتَ الحوادث أوْ سَمْعُ
طلولٌ عَفت آياتُها فَكأنّما
غرابيبُها جِزْعٌ وأدمانُها وَدْعُ
حكى الربعُ منها بالصدى إذ سألتُهُ
كلاميَ حَتَّى قيلَ هَل يَمْزَحُ الربعُ
تَخَطَّ معَ المحلِ الجنوبِ بِمَحوِها
سطورَ البلى فيها وتعجبها المِسْعُ
وَلَم يَبقَ إلّا ملعبٌ يبعثُ الأسى
وَيَدعو الفتى مِنهُ إلى الشَّوقِ ما يَدعو

لبسنَ حدادَ الثكل وهي مقيمـــــةٌ
على مَيْتِ نــارٍ لا يفارقها فَجْـــــعُ
ومضروبةٌ بين الرّسوم وما جَنَتْ
عقاب النوى من هامها الضربُ والقلعُ

ان حديث الشاعر عن الديار والاطلال والبكاء عليها لم يكن مجرد حديث عن الذكريات والآمال والتمنيات أي بمعنى اكثر اتساعا لم يكن المكان تصويرا فوتوغرافيا بقدر ما ارتبط بشعور فطري عاش ابعاده الفنان/ الشاعر، ومحاولته مناجاة المكان والبكاء على اطلاله ما هو الا شعور نفسي يحمل في طياته مواجهة الغياب / الزوال الذي يشعر به وسعيه الى توافر الاطمئنان الذاتي والاتزان العاطفي [44] ومعالجته التداعيات الذاتية النفسية التي تصدر عن مشاعر تتصف بالشعور العدمي والتشظي والزوال بوصفهما سلوكا خاصا فرضته طبيعة الواقع المعيش ومعاناة الشاعر النفسية التي دفعت مخياله الشعري ومنحته القدرة على تفكيك هذا الواقع وخلق واقع جديد يجفف منابعه الشعورية بهدف تحرير الذات من الانا وخلق عالما اخر تعيش به بعيدة عن الالم النفسي والواقع المؤلم الذي يحيط بأبعادها كافة، فقول الشاعر (أيا جَزَعي بالدارِ إذ عَنَّ لي الجزعُ) الذي جعل فيه النداء افتتاحا لبناء النص الشعري (أيا جزعي) يدل على تهويل الامر، و سعة الخوف والحزن والتحسر والتفجع وتفشيهما المستمر في الانا الشعوري ازاء الحيز المكاني الذي اصبح محركا لتوليد شعور الزوال والاندثار الذاتي لدى الشاعر، وقد اوضح تكرار الالفاظ (جزعي / جزع) عن نقطة شعورية حساسة وضرورة نفسية يطلبها الاداء المعنوي المجسد لابعاد التجربة الوجدانية ومنجزها الشعري، ودل على شدة الحزن وتمكنه من الانا واستمراريته، انه يوافر لذاته تعويضا نفسيا (قناعا) يخرج به آهاته وحسراته ولواعج حزنه، فأطال من الوقوف فيها قائلا: [45]

وقفتُ بها والنفسُ من كلّ مقلةٍ
تــذوبُ بنــارٍ في الضلوعِ لَهـا لـذْعُ

هذا الوقوف المكاني هو وقوف مؤلم مصحوب بالنواح والبكاء فاخذ يقطع نفس الشاعر حسرات، ويذوبها لوعة وكأن نارا قد اشتعلت بها، ولو ان دمنة او أي اثر من اثار المكان واطلاله الجامدة كان لها بصر او سمع لبصرت وسمعت نواح الشاعر وآهاته الموجعة واظهرت تفجعها لإحساسه بالفقد والزوال [46]، وهذا ما سعى الى التعبير عنه في قوله: (لو أنّ دِمْنَةً لها بَصَرٌ تَحْتَ الحوادث أوْ سَمْعُ)، فالنص يكشف طبيعة الشعور المعاش من قبل الذات وسيطرة الصراع النفسي بين الاحساس بالفناء وعدم الوجود وبين الرغبة في الحياة.

وقد ادرك ابن حمديس حسيا خاصية

اللون ودلالاته وتفهم عمق فاعليته في التصوير الشعري وتجسيده الظاهرة الانفعالية (طلولٌ عَفت آياتُها فَكأنَّما غرابِيبُها جِزْعٌ وأدمانُها وَدَعٌ) اذ نقل دلالات اللون الاسود الحزن والالم والضيق والتبرم المأساوية التي تنسجم وطبيعة شعوره النفسي مستعيرا لون الغراب الاسود (غرابِيبُها) كالجزع وأدمانُها بيض كـ(وَدَعٌ) فقد جعل من اللون بؤرة الانفعال النفسي ووسيلة للتعبير عن هذا الانفعال ووصف خلجات النفس الانسانية الشعورية واخذ اللون ودلالته بعدا نفسيا وشعوريا يتسلل الى خفايا الانا ويظهر مكنوناتها الداخلية في تشكيل فني لصورة لونية جديدة تتفق ومشاعر المبدع ؛ لان الانعكاسات النفسية توضح قدرة الانا على الانجذاب الى الظاهرة اللونية والتفاعل الوجداني معها بوصف اللون رمزا لشعور او الانفعال، انه الشعور الذي نعييه عندما ندرك طبيعة اللون ونتأمل دلالاته [47]، وهذا يعني توافر القصدية لدى المبدع في اختيار الالوان ودلالاتها النفسية التي تنسجم تبعا وما يعانيه ويحاول التعبير عنه وعكس صورته الى متلقيه، فيكون اللون لغة خاصة تعبر عن عوالم شعرية واسعة وترسم لنا دنيا شعورية يكون الباب في الولوج اليها هو الاختيار اللوني الخاص الذي يعمد اليه الشاعر [48] واتساع دوره التعبيري من دائرة انفعالات الخوف والحزن والتلاشي والزوال الى دائرة الانفعالات الشعورية الجمالية التي تتعلق بأصوات معينة او الوان يكون لها شكل ومضمون شعوريا وانفعاليا [49].

ونجد معطيات المكان (الطلل) ودلالاته قد تبلورت بشكل لاشعوري في ايضاح عالم الاغتراب النفسي والشعور بالزوال امام صولة الزمن القاسية وامام مدركات الشاعر وحسه الغيبي الذي لا يعرف عنه أي شيء [50] فيتولد الشعور بالجفوة والضياع تجاه الحياة، وقد يصل الشعور الى ان الحياة بمنطقها الوجودي ليست الا موتا فتطغى هنا على المبدع النظرة المأساوية تجاه الوجود الحياتي، ويبدو لديه واضحا الاستسلام الانفعالي المشبع بالعجز والعدمية وتسعى الذات الى تقمص واقعا وهميا ومن ذلك قوله: [51]

قفْ وقوفَ الحيا بدمنَةِ ربـــــعٍ
ضَيّعَ الدمعَ فيــــهِ رسمٌ مُضَيَّع
دارسٌ لا تـزالُ غُـبرُ السّوافـــــي
تَفْرِقُ الـتربَ فيه ثُمّتَ تَجمَـــــع
كـم بـه مـن سـوانـحٍ فـــي المغاني
آمناتٍ من نبأةِ الخـــوفِ ترتَع
وظباءٍ كأنّهُنّ دُمَـــــــــــــاهُ
حينَ تَرْنو لـــــــو أنّها تَتَبَرْقَعْ

يبدو للمتلقي ان ابن حمديس الصقلي قد جاء بالوصف البدوي المتوارث للطلل واستيحاء دلالاته المعنوية وايحاءاته النفسية

الذي تعفي اثاره الرياح السوافي في قوله: (غُبَرُ السّوافي تَفْرِقُ التربَ)، لانه وجده ملائما في الصورة والاداء لحقيقة الذهاب والفناء في وقفة تأملية للحياة، ولعلنا لا نجانب الصواب اذا اتفقنا مع من يرى ان ابن حمديس قد اجاد الانتفاع من القوالب الفنية التعبيرية المتوارثة واسبغ عليها ابعاد تجربته الشعورية الخاصة وجعل لها مذاقا مختلفا ؛ لان التجارب الانسانية تتكرر؛ ولكن الانفعالات تجاهها تتغير، فلكل شاعر طريقته وبصمته التي ينماز بها عن غيره، وكل شاعر يصوغ مشاعره وأحاسيسه النفسية في المعاني التي يصوغ بها نصه الشعري ويودع نفسه في هذه المطالع، ووصف الطلل نوع من بدواة التعبير استمده ابن حمديس من مخزونه الثقافي والشعوري ليقولب به ما يناسب اسقاطاته النفسية وانفعالاته الخاصة، فهو تعبير واضح عن نفسية الشاعر[52] لا ارتباطه الوثيق بالزوال والتلاشي والعدم وانتفاء الوجود، وهنا تتعالق دلالاته مع الموت الذي يعد اهم العوامل الخارجية التي تشكل ضغطا رهيبا على الذات الشاعرة والانسانية عامة فلا يمكن الفرار منه [53]. فيكتسب المكان اهمية واسعة في الابداع الشعري بنوعية المتخيل والواقعي لارتباطه ارتباطا وثيقا بحالة المبدع النفسية والشعورية، وهذا الارتباط الوثيق يتجذر اصله من ماضي الشاعر وحاضره الذي يؤسس ابعادا نفسية واجتماعية اخرى لذلك المكان، تنطلق من نفسية المبدع وخياله وذكرياته فيغدو في حالة من التنقيب عن عمق العلاقات الشعورية والنفسية والذاتية التي يكونها المكان بينه وبين مختلف المعاني والصور والسلوكيات ثم تنفتح عن هذه العلاقات علاقات اخرى عديدة [54] نتلمس اثارها واضحة في النص المنتج تعبر عن مشاعر انسانية وعلى مستويات وجدانية عديدة ارتبط جزء منها بالوجدان والعاطفة وارتبط الجزء الاخر بالزمن وحركته الماضوية المكتنفة للذكريات، على حين يأخذ التحسر وفقدان الامل مستوى ثالث من المستويات الدلالية للمكان ، من مثل قوله:[55]

فَبِنارِ الأسى يُحَرَّقُ قَلْبٌ
وبماءِ الهوى يُغرَّقُ مدمَع
قفْ وقوفَ الحيا بدمنَةِ ربعٍ
ضَيّعَ الدمعَ فيه رسمٌ مُضَيَّع

ان وقوف الشاعر على المكان / الطلل يحمل هاجسا زمنيا في وجدان المبدع في اغلب احايينه، لان وقوفه في تلك اللحظات قيد حركة الزمن، وجمد ساعاته ليسلم على الديار ويسألها عن لياليه الذاهبة بأنسه فتتضافر دلالات المكان مع عنصر الزمان في اثارة الشجن والبكاء بسبب الشعور بالذهاب واللاعودة فيوحيان بالفقد والزوال معا ؛ لان وقوفه على الطلل يعني وقوفه ازاء حياته

الذاهبة وأيامه الغابرة [56] إذ يقول:[57].

كم به من سوانحٍ فـــي المغاني
آمناتٍ مـــــن نبأةِ الخوفِ ترتَع

وفي بعض الاحايين يحتوي المكان دلالات جغرافية ترتبط بفراق الاهل والاحباب والبعد عنهم وعدم امتلاك الشاعر القدرة بالعودة اليهم، فيتحول الوقوف عند الطلل الى وقوف نفسي شكلت مشاعر الزوال ملمحا كبيرا في رسم اثاره فحمل هموم المبدع الذاتية وحسراته الانفعالية.ومن ذلك قوله: [58]

كلَّ يوم مودِّع أو مـــــودَّعْ
بفراقٍ مـــن الزّمان مُنَوَّعْ
قفْ وقوفَ الحيا بدمنَةِ ربعٍ
ضَيّعَ الدمعَ فيه رسمٌ مُضَيَّع

ان حديث الشاعرعن القبر بوصفة مكانا يدل على الخوف، والفزع، والضيق، والوحشة، والوحدة والانغلاق التي تسبب لديه شعورا بالعدمية والزوال الوجودي المادي المقترن بذهابه الشخصي تجعل منه في حالة تأزم نفسي ذاتي خانق للانا يحاول عن طريق الخطاب الشعري وتشكيله نقل حالة الانهيار الشعوري الى متلقيه ؛ لان السياق الشعري هو الذي يحدد ايجابية المكان او سلبيته، ومنه قوله: [59]

لك يا مَن يموتُ شخصٌ وفَيْءٌ
ثمّ شخصٌ في القبر من غير فَيِّ
أيُّ فَيءٍ لمن يصـــــيرُ تراباً
مُحِيَتْ مِنهُ صـــــــورَةُ البَشَرِيِّ

تحول المكان ودلالاته (القبر)عند الشاعر موضوع البحث الى معادل شعوري لم يلب الطموح النفسي والفسيولوجي للشاعر بوصفه مكانا فاقدا للمعطياته الحياتية مفعما بالظلمة والوحشة، وقد تغيير حضوره الفيزيائي الواقعي الى حضور زائل مندثر يحمل آهات الواقع النفسي والشعوري الذي يحاول الشاعر تصويره برؤيته للموت والقبر والتحرك في اطاره التعبيري.

ويبدو ان هاجس الذاتية يحفز الشاعر على الاتصال شعوريا ولا شعوريا بالعالم الروحي ومحاولته السمو بذلك فيخرج النص الشعري معبرا عن هذا الاتصال والاندماج الذاتي والنفسي عن طريق خلق نوعا من التوافق النفسي للذات الباحثة عن جزء غائر من الوجود / رحلة الضياع، فتظهر لمتلقيها شاكية مستوحشة اثقلتها الذنوب ولكنها تعي جيدا عدمية هذا الوجود وزواله وتلاشيه وذهابه ومن مثل ذلك قوله: [60]

إلى اللَّه أَشكو جُملَةً أَرتـــــــدي بها
وأصْبحُ منها في الذنوب كما أمْسي
فيا وحشتي من سوءِ ما قدّمَتْ يدي
إذا لم يكنْ في القبر من رحمةٍ أُنْسي

فالخوف والارتباك الذي يجسده الخطاب الشعري يمكننا ان نلمس عن طريقه تلوينا شعوريا حادا وصارخا في مكامن الذات

الشاعرة ؛ لان الكآبة والحزن شعوران يمنحان التعبير الشعري درجته الرؤيوية في الكشف عن الوجدان الذي يرفع النص الى مستوى الصدق الشعوري المرتبط بالضياع والتهويل، وهذا يعتمد على الصورة الخصبة الفنية والنفسية التي يولدها النص الشعري في ذهن المتلقي بوصفها بؤرة تستطيع ان تشع في كل اتجاه وان توافر لنا المزيد من اسكناه المعاني كلما اوغلنا النظر في ابعادها بأحاسيسنا ومشاعرنا انها صورة معطاة ثرة تكشف عن كل جديد [61] من مشاعر الاسى والاحساس بالزوال الوجودي المقترن بالعدم.

ثانيا : تجليات الزوال الزمني

يقسم الزمن بحسب دلالاته واسسه البنائية الى زمن فيزيائي وزمن نفسي / ذاتي (الزمنية) وهو قضية كل حي يتصل بوجوده الانساني منذ ميلاده وحتى وفاته ينحصر في الشباب الذي سرعان ما يتولى كأنه ثوب معار يعرى عن الانسان، ومشيب يحيل السواد بياضا وكبر وضعف يأتي في اعماق المشيب [62] فالزمن حيز لكل فعل ومجال لكل تغيير بوصفه وعاء لتجارب الانسان وخبراته وذكرياته يعطي صورة واضحة عنها[63] مجسدا الحياة الانسانية / الانا ودواخلها الذاتية في حركتها من احدى مراحل الفعل الى الاخرى [64]؛ لانه السيل المتدفق من الماضي الى الحاضر فالمستقبل، وفي سيلانه وحركته يحمل الصيرورة في التغير والتحول واحساس الانسان / الشاعر بالتعاقب الطولي للزمن الذي ينتهي بالموت والفناء والاندثار والعدمية (زوال الوجود الانساني بتعاقب الزمن)مقابل استمرار الحياة بتعاقبها الدائري هو الدافع الرئيس وراء شعور الانسان بالقلق والاضطراب والخوف والحيرة فيصبح الزمن ومدركاته ودلالاته مدار بحث الانسان والكشف عن ماهيته [65]، فيؤسس بوعيه التام الذي يدرك انطولوجيا الزمن واقعا ذاتيا جديدا ربما يستطيع ان يمنح بحسب رؤية المبدع ومخياله الشعري مشاعر الزوال القابعة في الانا الشعوري واحساسها بالعدمية والتلاشي هوية الوجود.

انسنت الزمن وتشظي الذات

ويمكن للدارس ان يجد اهم معالم الزوال التي افرزها احساس الشاعر بالزمن في اطار الجو النفسي والايدلوجي والاجتماعي الذي يعشه، لان الزمن بؤرة ازلية يمكن ادراكها والاحساس بها شغلت احاسيس الشعراء واستولت على منافذهم الفكرية والشعورية، واكبر الظن ان شعور الزوال والعدمية الذي يسطر على الانا الانسانية ارتبطت بشكل لا يقبل الشك بالزمن الذاتي / النفسي اكثر من ارتباطه بالزمن الفيزيائي بمعنى اخر تلازمية الزمان النفسي مع الذات الذي

تتحرك فيه مشاعر المبدع وتتلون فيه تجربته الابداعية فـ« يتعامل مع الزمن تعاملا نفسيا (و)يفسره تفسيرا فنينا وجدانيا خاص به لا يخضع للتعريف او التحديد... او التقيد» [66] اذ احكم الزمن النفسي سيطرته على خطاب الشاعر ودلالاته الابداعية على حساب الزمن الفيزيائي في اغلب الاحايين، واعطى النص طابع الثبات على حساب الحركة، فارتباط الزمن هنا ارتباطا نفسيا، وهذا المفهوم الزمني هو الذي يتعامل معه البحث ومحاولته تسليط الضوء على اثاره في العملية الابداعية عند الشاعر واحساسه بالتشظي والزوال أي الوقوف عند الزمن الذاتي (الزمنية)؛ لانه يدخل في نسيج التجربة الشعورية / الانسانية ويُعنى بالأدب، ويخضع لمجرى الاحداث وتأثيرها في الذات [67] ويرتبط بها ارتباطا شعوريا ونفسيا وحسيا، فالوجود الزمني قائم على الوجود الانساني والعكس يبدو صحيحا بالنسبة للذات المبدعة بوصفة حركة شعورية تدفع بالذكريات والصور والخبرات التي تعج بها الذات وتقبع فيها فيصبح عاملا ضاغطا يدعو الى انبثاق صور ورؤى جديدة تزيد من خصوبة الحياة والاحساس بها في ظل مواقف شعورية جديدة[68]، وهنا يكون الزمن هو اداة التشكيل الفني / الجمالي في الخطاب الشعري والفعل الانتاجي للنص الابداعي المعبر عن تجارب الشاعر واحاسيسه وانفعالاته ويمكننا ان نستشعر العتبة الدلالية للزمن النفسي في قول ابن حمديس: [69]

إذا غرَستْ في مسمعِ الصّبِّ موْعِداً
جَنى بِيَدِ التسويفِ مِن غَرْسِها مَطْلا
وإن هي زارَتْ خلتَها مستعيـــــــرةً
لَها مِن خَطيبِ الحفلِ جَلسَتَه العَجْلى

ان الزمن الميقاتي للنص يتحرك في اطار ثنائية ضدية قائمة على اجزاء متعاقبة تبعا للحالة الشعورية التي يعاني منها المبدع بين توقف الحركة الزمنية وتباطؤها في قوله: [70]

إذا غرَستْ في مسمعِ الصّبِّ موْعِداً
جَنى بِيَدِ التسويفِ مِن غَرْسِها مَطْلا

فحالة الانتظار التي زرعتها المحبوبة في مسامع الصب العاشق تثقل حركة الزمن وتعمق الاحساس بالبعد النفسي فلا يجني الا التسويف وتدافع الهموم من ذلك الانتظار، ويرتبط الزمن الذاتي هنا بالفعل بل لعل الفعل هو الذي يقيد حركة الزمن هنا وانهيار امال المبدع في حصول اللقاء هذا الانهيار اصبح جزءا من التشكلات النفسية وهاجس الذات والعدمية التي تجسد معالم الشعور بالزوال والتلاشي وعدم الحضور والغياب عن موعد اللقاء وتخلق ازمة نفسية ناتجة عن تجربة شعورية قاسية، على حين يتسارع الزمن النفسي لحظة اللقاء وزيارة الحبيبة ويفقد الزمن قيده ويتحول الى زمن انفراجي

يصعد من فاعلية الاحساس بالسعادة هذه السعادة التي وافرتها زيارة المحبوبة افقدت المبدع الاحساس بالزمن فزيارتها سريعة عجلى كجلسة الخطيب في الحفلة يقول واصفا ذلك: [71]

وإن هي زارَتْ خلتَها مستعيـرةً
لَها مِن خَطيبِ الحفـــلِ جَلسَتَه العَجْلى

فالزمن وبناؤه الذاتي قد عمق من الاحساس بالبعد النفسي القائم بين الفناء (عدم اللقاء والايفاء بالوعود)وبين الرغبة بالحياة (سرعة زيارة الحبيبة وعجلتها) وكلاهما مرتبط بالفناء والزوال والصراع النفسي والخوف والقلق ؛ لان « العمل الفني هو التعبير الرمزي عن الاحاسيس الداخلية العميقة للفنان... وهكذا يصبح كل عمل فني نوعا من الاذاعة الذاتية» [72] ومدونة تعكس نفسية المبدع عن طريق ما يخرج منه من اضاءات ودلالات نفسية تكشف عن مكامن الشعور والاحساس وتخلق علاقة تبادلية تأثيرية بين المبدع والمتلقي وتحقق قيمة الشعر الجمالية القائمة على الفلسفة النفسية للصورة بوصفها « تركيبة عقلية تنتمي في جوهرها الى عالم الفكرة اكثر من انتمائها الى عالم الواقع »[73]، ومثله قوله [74]

زارتْ عـلى الخـوفِ مـن رقيـبِ
كظبيـــةٍ رُوّعـــت بذيبِ
كـادت تـروّي غليـــلَ صبٍّ
فـؤاده منـــــــه في لهيبِ
ولّـتْ فَقُلْ فـــي طلوع شمس
قد أخـذت عنـــه في الغروبِ
كـان زمـــان اللقاء منها
أقـصر مـن جلســة الخطيبِ

ولعلنا لا نجانب الصواب كثيرا اذا قلنا ان الزمن تحضير للجو النفسي والاحساس به، وهو الذي يولد لدى الشاعر بعدا ذاتيا فرديا يعيد انتاجه من جديد على وفق حركة زمنية تبدو انها حركة افقية المسار تجسد مظاهر الشعور بالزوال والتلاشي عن طريق الحضور(الزيارة)والغياب (سرعة انقضائها)، وهذه الصيرورة الزمنية التي يشع بها النص المنتج اكثر التصاقا بالفناء والعدمية والاحساس بهما القائم على معاني الخوف والفزع والهلع والسرعة والذهاب، والقلقية التي تسيطر على مكامن المنجز النصي التي تدلنا عليها الفاظه المتجذرة في النص (روعت، كادت، ولت، قل)وهي تعكس الحياة القلقة المضطربة التي يعيشها ابن حمديس التي انتجت حالة نفسية خاصة واججت الاحساس بالتشظي الفاقد للأمل والعازف على نغمات الحزن ونيران الالم، أي ان الشاعر يحاول الاتصال شعوريا او لا شعوريا بعالمه الخاص(المتخيل)فيخرج النص معبرا عن هذا الاتصال او الاندماج الذاتي اوالنفسي وإحساسه بفقدان الوجود

الانساني عن طريق تجسيد احساسه بالزمن.

2 - اوهام اليقظة ونبوءات الطيف

عندما يفقد ابن حمديس الصقلي الاحساس بالزمن السعيد واقعيا فانه يبحث عن ذلك في عالم الخيال والطيف وخلق واقع جديد يتباين كليا وحقيقة الواقع المعيش عن طريق التوظيف الفني والنفسي، وعملية استدعاء الطيف، وحلم اليقظة واصطناع صورة شعرية نابعة من مخياله الشعري يستحضر بها حبيبته الغائبة المتلاشية عبر الحلم / طيف الخيال الذي يحقق لقاء وهميا بعد الرحيل والغياب خيالا يمنح الشاعر راحة نفسية وشعورا بالاستقرار يعيد اليه جزءا من توازنه الذي فقده بفعل الرحيل والذهاب والغياب الحقيقي، أي انه يمارس عملية الهروب من الواقع الى الخيال عندما يعاني الاغتراب الذاتي / النفسي بوصف الطيف حالة من حالات الاسقاط الشعوري التي يسعى المبدع بالاتكاء عليها من اجل التخلص من إحساسه بالغياب والرحيل (الزوال) وهو يعي ويدرك ما يفعل [75] أي بمعنى اخر توافر القصدية في العمل الابداعي اذ « يبقى الشاعر بوضوح كاف على وعيه بأنه يحلم لكي يسود على مهمةً كتابة حلمه، وأيّ سمو وجودي هو ذلك الذي يحصل من تحويل حلم يقظة ما إلى عمل فني، ومن كون المرء منشئ حلمه اليقظ »[76] ومن ذلك قوله: [77]

ولما أتانا مـــــن الإنتبـــــاهِ
دخلنا له بالوصـــــال المناما
جعلنا تزاوُرَنا فـــــي الكَرى
فما نَتّقي من مَلـــــومٍ مَلاما
وَمَرّتْ لطائـــــــــفُ أرْواحِنا
بِلَغْوِ الهَوَى حيثُ مَـرّتْ كراما

ولكن سرعان ما يعود الاحساس بالذهاب والتلاشي من جديد ليسيطر على الذات المبدعة، بعد انتباهها من الطيف حلم اليقظة، والقرينة الدالة على ارتباط طيف الخيال بمشاعر الذهاب والتلاشي زيارة الحبيبة ثم مغادرتها سريعا وهذه (العملية إسقاطية)تحمي الشاعر من الشعور بالفشل وانهيار الآمال، فالنص يوحي لنا بتراكم الهموم والاحساس بالعدمية والغياب ويفتح نافذة لمعرفة مكامن المبدع النفسية ومحاولته الخلاص من حالة التشظي التي يعيشها.

والطيف والخيال حالة من التوهم الزائل المقيد بالذهاب والتلاشي وسرعة الزوال المقترن بالانتباه والإفاقة من الطيف / حلم اليقظة، لم يستطع بكل قواه التخيلية والتوهمية من ان يكفكف مدامع العيون الساهرة ولكنه يحقق مسربا نفسيا يخلص الشاعر من وطأة الاغتراب فيستعيد بذلك التوازن الذي يبقيه متصلا بأمل الوصال على الرغم من ان لحظات الطيف قصيرة تذهب تاركة وراءها ألما كبيرا في الذات الانسانية

؛ لان خيال الطيف بجماله وبما يضفيه من سعادة زائله لا يتفق مع الواقع المعاش بمرارته ومعاناته ولا يغير من الامر شيئا لكنه في الوقت نفسه يذكي الوجد في الانا الانسانية[78] ويزيد من حالة اليأس وفقدان الامل ويولد اخفاقا عاطفيا وتوترا ذهنيا بعد انقضاء زمن التمني، ومن ذلك قوله: [79]

مَـرَى مِن عُيونٍ سَـاهِـراتٍ مَدامِعاً
وكحّلَها بالنُّورِ والليـــــــلُ مظلمُ
فيا عَجبَا من زورةٍ زارَ طيفُـــها
جُفوناً من التهويمِ فيـــــــها تَوَهّمُ
وأهـــدَى أريجـاً مـن شـذاهـا ودونهـا
لمقتحم الأهوال سَهْبٌ وَخِضـــــــرمُ

وغني عن البيان ان مواقف الشعراء الحلمية او الطيفية هي عبارة عن ارتداد زمني يوافر تعويضا نفسيا للذات المبدعة ويعكس طبيعتها الشعورية ونزعتها النفسية ورؤيتها الخاصة التي تختفي وراء انساق النص الدلالية وما يتفجر عنها من شوق وحنين، والطيف يداهم الانا من دون اذن منها ويغادرها بالطريقة نفسها ليخلق في دلالته الظاهرة حلم جميل يخرج الانا من الآهـات ولـواعـج الـحـزن، ولعلنا لانجانب الصواب كثيرا اذا قلنا ان لحظة الانتشاء التي يوافرها الطيف (حلم اليقظة)للذات الانسانية تمثل زمن الانفراج النفسي بالنسبة لها، ولهذا تبدو قناعة ابن حمديس بالطيف بدلا من الواقع لامتناع تحقق الرؤية في عالم الحقيقة متخذا من الطيف وسرعة الذهاب والـزوال المقترنة بإيحاءاته الدلالية قناعا نفسيا وشعوريا يخفي وراءه جزءا مهما من هواجسه الذاتية في مثل قوله: [80]

مَن زارَ في سنةِ الأَجفانِ فـــي خَفَرٍ
لم يخش غـيرانَ مرهوبَ الشذا حَنِقا
قَنَعتُ بِالطيفِ لَمّـــا صَدَّ صاحبُـــــهُ
وَالطيبُ إن غـابَ أَبقى عِندَكَ العبقا
لولا هلالٌ أعير الطـــرف زورقُـــهُ
في خَوضِهِ لجـــــةُ الظلماءِ ما طَرَقا
مِن أَيـنَ لي في الهَـوى نَـومٌ فَيَطرُقني
خيالُ مَنْ نَومُها يُغري بـــــيَ الأَرَقا
وَإِنَّما الفكرُ في الأجفانِ مَثَّلَـــــــها
فَما كَذَبتُ علـــــى جَفني ولا صَدَقا

وعلى الرغم من قناعة ابن حمديس بالطيف ملاذا نفسيا لإشباع رغباته ودوافعه والتقليل من الضغط النفسي الذي يعانيه والتخفيف من حدة مشاعر القلق والتوتر التي يخلقها الواقع بحقيقته وتمنيه المعقود بزيارة الطيف غير المعهودة وطرقه غير المستأذن (قَنَعتُ بالطيفِ لَمَّا صَدَّ صاحبُهُ / وَالطيبُ إن غابَ أَبقى عِندَكَ العبقا)وايمانه ان حلم اليقظة « باطل غرور ومحال وزور.... سريع الـزوال وشيك الانتقال » [81] الا ان الطيف كان ضنينا شحيحا في زوره لم يجلب اللذة لصاحبه ويخلصه من الارق والكآبة

التي اصابته بسبب غياب الحبيبة ورحيلها (فَيَطرُقني خيالُ مَنْ نَومُها يُغري بيَ الأَرَقا) مما يولد شعورا بالفشل والحزن وذهاب الامنيات وزوالها ويتنامى لديه الاحباط النفسي، وقد مارس المبدع فعل المراوغة القائم على ثنائية الصدق والكذب والمزج بينهما في ايهام متخيل في القول الشعري (فَما كَذَبتُ على جَفني ولا صَدَقا) لعله يوافر في ادنى درجات الشعور ملاذا نفسيا ملائما يستطيع ان يخفف من غلوائه النفسي المنفتح في ادائه على صورة الذهاب والزوال الآني والسريع المقترن باللحظة الحلمية.

3 - وحدة الاغتراب وهاجس الليل

ويتجلى احساس الشعراء بالزمن تجليا واضحا في بناء النص الشعري لارتباط الزمن بالفعل ومعطيات الحدث، فهو مثير للحركة الشعورية الداخلية والاحساس تجاه تفاعلات الحياة المختلفة السعيدة والمؤلمة، فيفقد الانسان الاحساس الحقيقي بالبعد الزمني سواء كان بعدا ميقاتيا او نفسيا وان اختلف الدارسون في تحديد مفهوم الزمن او ايجاد تعريف له، ولعل الليل من اكثر الاوقات الزمنية تداولا بين الشعراء بوصفه نمطا زمنيا نفسيا اخذ اهتماما واسعا من لدن الشعراء لا سيما شعراء الغزل والعشق، فهو باعث قولي ومثير نفسي ارتبطت دلالاته بالوحشة، والحزن، والقلق، والاسى العميق، والسكون، والذهاب، والتشظي الذاتي.

فالليل يمثل المعاناة والمتاعب، والشد النفسي، والفرقة والابتعاد عن الاهل والاحبة، وهذا يعني بطبيعة الحال ان المستوى الدلالي لليل « يدور حول معنى الظلمة وما تشيعه من ظلال كالخوف والرهبة والاضطراب والحذر والشدة » [82]، ومن هنا نلحظ ان الليل بلا شك جزء مجسد لمعاني الزوال والضياع والتيه والاحساس بالتلاشي والعدمية (فقدان الوجود الذاتي)، الذي يتمكن من منابع الشعور في الانا المبدعة ويسيطر عليها، وهذا الشعور الانساني لمعاني الليل وايحاءاته هو شعور زمني يخرج عن اطار الزمن القياسي الفيزيائي متحولا عن طريق دلالات ذلك الاحساس والشعور النفسي المأزوم الذي تعانيه الذات الى معاني الزمن النفسي الذي يطول ويقصر تبعا للظروف والاحوال السارة والمؤلمة التي يعيشها في لحظة الابداع الشعري، فيشغل الليل بظلامه، وعتمته، وتراكم الهموم، وزيادة الخوف، والقلق حيزا واسعا من معطيات الانا المبدعة ويأخذ بها الى تأمل مظاهر الزوال ولا عودة، ويشكل الليل ودلالاته مظهرا من مظاهر الاحساس الزمني بالزوال والذهاب والتشظي المتكئ على طبيعة الميقات النفسي، ولعل الشاعر موضوع البحث « كان يشعر بطول الليل في الاوقات الحزينة والمؤلمة وكان

الليل بظلامة مصدر قلق وحيرة وهو يعاني الوحدة والاغتراب » [83]، وهذا ما يمكن لنا انجده في لحن المناجاة العازف على وتر الاحساس بالحزن والضياع في قوله: [84]

فبتّ من الليل في ظلمةٍ
فيا غُرّةَ الصبح هاتي الضياءَ
ويا ريحُ إمّا مَرَيْتِ الحيا
ورَوّيْتِ منه الربوعَ الظماءَ

اقترن الزمن اقترانا مباشرا بالمخاوف المستقبلية التي تهيمن على الذات الانسانية فتولد شعورا يتسم بالقلق والتوتر، ويجسد معاني الانفصال النفسي وهذا بدوره يعمل على اتساع هوة الشعور بالزوال و الاندثار.

اما الصيرورة الزمنية (تحول الحال وتغيرها)تعد من اكثر المعاني التصاقا بمشاعر الفناء والعدمية لان الليل زمان يحاصر الذات المبدعة بما يفيض به من دلالات فيعمل عل تحضير الجو النفسي الذي يوحي بثقل الزمن وبطء حركته في اطار تعبيري قولي قائم على المقارنة بين حالة المبدع النفسية، وظلمة الليل التي يتمنى الشاعر على الصبح فلق هامته، فالإحساس بثقل الزمن وتباطؤ حركيته حول احساس الشاعر بالزمن من البعد الفيزيائي الى البعد النفسي، وهذا الاحساس ولد لدية القدرة على اعادة انتاج الزمن على وفق حركة زمنية افقية الابعاد جسدت معالم الاحساس بالغياب، والحضور الممثل لمظهر الزوال فيكون ادراكه ادراكا قائما على تشظي الذات اذ يقول: [85]

ولَقَد قُلتُ لحادي عيسِنا
وهيَ بِالبُخلِ عَنِ البُخلِ تَجود
فمتى يَفْلُقُ عن أبصارها
هامَةَ اللَّيل مِنَ الصبحِ عَمود
وأَرى ما اسوَدَّ من قارِ الدُّجى
ذابَ مِنهُ بِلَظى الشَّمسِ جُمُود

اصبح الاحساس بالزمن الميقاتي في النص جزءا غائرا في الوجود (زائل / متلاشي) لعدم قدرته على تحقيق طموحات المبدع، فتبدو حركة الزمن تتأرجح بين زمنين زمن المأزق الذي شكل معالم انهيار الآمال (فمتى يفلق عن ابصارنا)، وزمن الانفراج وتحقيق الرغبة (وارى ما اسود.... بلظى الشمس جمود) فـ« يغدو الليل زمنا نفسيا يحدده حس الانسان به في مختلف حالاته النفسية» [86]، فقد اصابة البخل وقيد حركته، فاصبح ليلا ثقيلا فقد صفة التعاقب والتقسيم، يبوح بأنفاس تحترق ومشاعر تلتهب، وبفزع، وهلع ويأس، يوضح لنا القلق المتصاعد المقيد للزمن (حركة زمنية ثابتة)الذي يعيش المبدع ابعاده الوجدانية واكبر الظن ان الليل تحول في المنجز النصي الى وعاء زمني استطاع ان يستوعب تجربة ابن حمديس الشعورية

ويخفف معاناته النفسية ويعبر عن مشاعر الخوف، والزوال، والقلق الذاتي الذي يعيش ابعاده النفسية وهواجسه الشعورية، وهذا هو الزمان النفسي الذي يمكن ان نلمس ابعاده في النص ؛ لان من « خصائص الزمان النفسي انه لا يخضع للمنطق المعقول وانما له منطقه المستمد من الشعور والانفعال والارادة وهو زمان كيفي لا تنفك فيه الذات عن الموضوع » [87]، وهو زمن داخلي يكون ادراكه من قبل الشاعر ادراكا شعوريا يرتبط بفقدان الاحساس الميقاتي للزمن الخارجي ويدل على شعور الذات بفقدان الامل والحياة والشعور بالعدمية والذهاب . وقد يتحول الليل في احساس الشاعر ومكامنه التعبيرية من زمن ميقاتي/ قياسي الى زمن نفسي يجسد بامتياز احساسه الانفعالي المرتبط بالوحشة والفناء، الذي يقترن بدلالة الليل على الظلام، والعتمة والاحساس بالمعاناة بعد ان يرخي سدوله بالهموم، فيشعر الانسان بالوحدة النفسية وتصدع علاقاته الشعورية المقترنة بعملية الافتقاد الذاتي / الانساني وما يرافقها من احساس بالعزلة والانطواء والاضمحلال، اذ يتنازع الذات الشاعرة تياران متصارعان احدهما ينبئ بثقل الزمن وتقيد خطواته وغياب التعاقبية الزمنية اذ شكل الليل فيه عالم الظلام، والعتمة، والتوحد مع النفس مما جعل الاحساس به زمنا ثقيلا على الذات (ثقلت خطوتي / تفري غيهب الليل) والاخر يوحي بانتظار الامل وظهور الفجر وتنفس الصباح الدال على الاستقرار الشعوري والاطمئنان النفسي والاقبال على الحياة اذ يقول: [88]

ثَقُلتْ خَطْوَتي وفَـــوْدي تَفَرّى
غَيْهَبُ اللَّيلِ فـيه عن نُـورِ فجرِ
دبَّ مَـــوْتُ الـسّكـونِ في حركاتي
وخَبَـا فـــــي رمـــادِهِ جُمْـرُ جمري

يتمحور النص حول بؤرة شعورية نفسية ارتبطت بدلالة السكون، وتقيد الحركة الزمنية في معيار الايحاء اللغوي الدال على الزوال، والعدم، والانغلاق وعدم القدرة على الفعل، ويبدو ان استحضار هذه الدلالات واستدعاءها من اللاوعي الشعوري يدل على تفاعل الذات الشاعرة مع الوجود الخارجي ومحاولتها رسم صورة قاتمة وحزينة (دب موت السكون في حركاتي) تتحرك في اطار المفهوم النفسي المأزوم والاحساس بالتشتت والضياع، فضلا عن ان الثنائية القائمة على السكون / الحركة تكشف لنا عن عمق احساس الذات بالزوال، والتشظي وشدة توترها في لحظة الوهن النفسي ازاء متطلبات الحياة وظروفها، وعدم قدرة الشاعر كسر الحدود النفسية للزمن لحظة اندماج الذات مع عالمها الخارجي بعد ان سيطر عليها الاحساس بالعدمية والتلاشي.

وفي بعض الاحايين يفقد الشاعر الاحساس ببداية الزمن (الليل)ونهايته ووجوده المادي عندما يعتمد على ادراكه الحدسي للأشياء ويبتعد عن ادراكه المنطقي لها[89]، فيؤرقه طول الليل وانتظار بزوغ الفجر فيغدو ليلا ثقيلا باعثا للحزن، والشجن، والالم، والحسرة، والضيق المطبق المقترن بسواده، فيخرج النص الشعري معبرا عن هذا الانفصال الذاتي والشعوري المقترن بثقل الزمن النفسي الذي شكل معادلا للتجربة الزوالية عند ابن حمديس اذ يقول: [90]

أَنَجَاءٌ تَخرِقُ الخَرْقَ بـــــه
كَابَدَتهُ مِنـــكِ أَم مَضــغُ الكبود
فمتـــى يَفْلُقُ عـــن أبصارها
هامَةَ اللَّيل مـــــنَ الصبحِ عَمود

يتجوهر النصُّ على بؤرة نفسيَّة متمثِّلة بحركة الهموم، التي مثَّلت صراعاً نفسيّاً اكتنف الذات بسبب وحدتها، لتكون معادلاً نفسيّاً وشعوريا . فكان محور الوحدة النفسيَّة يكمن في إحساس الشاعر[91] بطول الليل وعدم انقضائه، فسرعة الزمان وتباطؤ حركيته تثير لدى المبدع الشعور بالزوال والذهاب، وهو شعور يدفع بنا الى حياة تسرق منا الماضي والحاضر ؛ لان الزمن النفسي زمن حيوي يتغير يطول او يقصر بحسب طبيعة تجربة الشاعر الوجدانية، وهو زمن ذاتي يخضع لحركة النفس الانسانية واختلاف تياراتها الشعورية في ضوء لحظات الحزن والفرح، فهو لا يخضع لمقياس الزمن الموضوعي [92]، وقد ادى اسلوب الاستفهام بمتى الدلالة المطلوبة التي ارتبطت بطلب الشاعر تعين الزمان وتحديده ماضيا كان او حاضرا فقد طال انتظاره .

4 - تسارع الشيب وافول الحركة

ومن مظاهر الزوال التي تتداخل مع هاجس الموت وتتماهى معه ويمكن للدارس ان يجد اثارها واضحة في شعر ابن حمديس الصقلي حديثه عن الشيب بوصفه رديفا للموت والزوال والتلاشي والعدمية ونذيرا لهما وقد اقترنت دلالته بالكبر، والهدم، والاندثار، والعجز، والضعف، وفقدان القدرة، ودنو الاجل، ونهاية الحياة فهو يرتبط ارتباطا وثيقا بشعور الانسان تجاه حركة الحياة وتوقفها او تباطؤها وصولا بها الى النهاية المنتظرة ؛ لان الزمان في الادراك الانساني « لا يسير الا في اتجاه واحد، ولا يقبل الاعادة باي حال من الاحوال....و.. اقسى الم يعانيه الانسان هو ذلك الالم المنبعث عن استحالة عودة الماضي... وتجربة الشيخوخة الاليمة كثيرا ما تشد الذات البشرية في حدة وقوة وحرارة بانه هيهات للمفقود ان يعود»[93]، وهذه التحولات الزمنية التي تحدث في حياة الانسان وانتقاله من مرحلة الشباب الى مرحلة الشيب، والعجز من اكثر مظاهر الزوال

وفقدان الامل التي شغلت الفكر الانساني في عصوره المختلفة ؛ لانها تتصل ببقاء الانسان ووجوده من جهة، وبفنائه وزواله من جهة اخرى، فالليالي والايام وتعاقبها الحركي في ظل متطلبات الحياة وظروفها الحياتية كفيلة بتحويل حياة الانسان عن طريق التعاقبية الزمنية وانتقالها من مرحلة الى اخرى وما يرافق هذه العملية الانتقالية من شعور يتسم بالخوف، والقلق، واتساع دائرته التفكيرية عندما يزداد شعوره «عمقا كلما شارف الانسان على ابواب شيخوخته» (94) فضلا عن الصورة اللونية التي سعى المبدع الى ابرازها في لوحاته الفنية والقائمة على التضاد اللوني بين (يقق/ حلك)فقد كان توظيفه للون توظيفا موفقا عكس ثورة نفسيه تبدد حياة الشاعر وتكشف عن ضعفه بعد ما اخذ الشيب طريقه اليه بوصفه نذيرا للموت واليأس والسكون وتوقف الحركة، وهذا ما يمكن لنا ان نجد معانيه ودلالاته في قول ابن حمديس: (95)

إنَّ الليالِـيَ والأيّـامَ يُدْرِكُـها
شَيبٌ وَيعقبُـها مِـن بَعْدِهِ هُلُكُ
فَشَيبُ لَيلِكَ مِن إصباحِـهِ يَقَقٌ
وَشَيبُ يَومِكَ مِن إمسائِهِ حلَكُ
وَالعَيشُ وَالمَوتُ بَينَ الخلقِ في شُغُلٍ
حَتّى يُسكَّنَ مِن تَحريكِهِ الفلكُ

يطغى على النص الشعري احساس المبدع بشعور الموت ودنو الاجل، وهو لايزال حيا فلم يعد يرى الحياة الا صدى وانعكاسا لتأزمه النفسي وآهاته الشعورية فيحملها شكواه من الزمن المتسارع في حضور التلاشي والاندثار، واشتعال الشيب الذي انساه سعادته، والاحساس بالزمن الميقاتي الذي زاد من مشاعر الخوف واليأس من الحياة والعزوف عن الاقبال عليها (إنَّ الليالِيَ والأيّامَ يُدْرِكُـها شَيبٌ وَيعقبُـها هُلُكُ)فالشيب والاحساس به مثير خيمت ظلاله على الذات واحاط بها، وشكل بؤرة التعالق الوجداني والنفسي معها واخذ يحدد مسارها الشعوري، ويعكس موقفها النفسي في اطار فاعلية التجربة الشعرية وما ينبثق عنها من صورة الزوال والتلاشي والذهاب ومظاهره بوصفة حالة عفوية تنبعث عن الانا عندما تشعر بدواعي الخطر المحيط بها، وعندما تعاني الارتباك النفسي وتزايد الاسى واستشعار الموت الذي مولد شعورا بالزوال والعدمية وهذا ما تجسدت معانيه في قول ابن حمديس: (96)

وَالعَيشُ وَالمَوتُ بَينَ الخلقِ في شُغُلٍ
حَتّى يُسكَّنَ مِن تَحريكِهِ الفلكُ

ومحاولة عن طريق الابداع لملمت اهاته الوجدانية، واستعاد جزءا من عوالمه الداخلية ؛ لان « اخطر انواع اليأس ذلك الذي يدب في نفس المرء فيوحي اليه بأنه خاسر

لا محالة.... وليس من شك ان مثل هذا هو الهزيمة قبل الهزيمة او هو الموت قبل الموت» [97] عندما يتساوى الشعور بالموت وظهور الشيب لدى الانسان فالشيب عند الشعراء بؤرة الاهتمام الانساني شكل لوحاتهم الفنية التي صورت شعورهم العارم بالحتمية الضياع والذهاب، وعكست تلازمية الزمان وحركيته مع الذات، وجسدت نوازعه المتناوحة. ومثل ما سبق قول ابن حمديس مخاطبا الشيب وقد تسرب اليأس والاحباط الى نفسة واقترن الشيب بالموت وتماهى مع احاسيس الفقد والتلاشي: [98]

فَنُحْتِ على حـــــيٍّ أماتَ شبابَهُ
زمانُ مشيـــــبٍ لا يُجـــــدّدُ ما يُبْلي
فمتّ بما شاءَ الإلـــــهُ ولم أمُتْ
لِيَكْتُبَ عمري من حياتي الذي يملي
وفارقت روحاً كان منكِ انْتزاعُهُ
أدقّ دبيباً في الجسومِ مِـــــنَ النملِ

فـزاول الشبـاب يعني ذهـاب البهجة والسرور وعدم الشعور بمتعة الحياة ورونقها، على حين يشكل الشيب وظهوره استدبار الحيوية والنشاط، وكأن حركة الزمن تسير بسرعة شديدة لا يستطيع الشاعر تداركها او عكس حركتها، وهذا العجز الذاتي يولد شعور العدمية وعدم القدرة بالعودة الى الماضي، فيصبح سرور الشباب منفيا بهّم الشيب وظلمته النفسية، ويظهر الشاعر الانهزام النفسي امامه، والتحسر على ايام الشباب وبكائه عليها باثا بوحه الوجداني في نصه الشعري قائلا: [99]

نَـفَـى هـمُّ شيبي سرورَ الشبابِ
لـقـد أظـلـمَ الـشـيـبُ لمّـا أضـاءَ
قضيتُ لظلّ الصبـــا بـالـزوالِ
لمّـا تحـــوّلَ عنّـــــي وفـاءَ

ان مشاعر الخوف والقلق التي يعاني منها الشاعر واضحة في ثنايا المنجز النصي زادت من حزنه وألمه على فقده للشباب وحيويته، وقد شكل الشيب وهمومه حاضرا مؤلما متأزما من الناحية النفسية والشعورية وما يصاحبه من عزلة وانكسار، ولعلنا لا نبتعد عن الحقيقية كثيرا اذا قلنا ان الشيب ومعالمه يمثل« الهزات العنيفة التي تتعرض لها النفس وهي تحرص على الشيء النادر الذي تملكه (الشباب) وتخشى ان يضيع، حتى اذا ضاع استشعرت مرارة الفقد »[100] فتلجأ الى ممارسة الاسقاط النفسي والاسترجاع الزماني في التخفيف عن حدة توتره، لان مرحلة الشباب تمثل له صورة من صور التمسك بالحياة وهي بعبارة اخرى القدرة والممارسة والمشروع [101] على حين يجسد الشيب مرحلة الانهزام والزوال والعدمية.

ومن منطلق اخر فان بكاء الشاعر من الشيب هو بكاؤه على نفسة ورثائه لها ؛ لانه رسول الموت واول طلائع جيشه التي تنذر

بنهاية الحياة وزوالها، لذا فان احساس المبدع بظهور الشيب يقترن بالخوف من فقدان الحياة ونهايتها وذهابها في اغلب أحايينه بوصف الشيب هم ثقيل تعافه النفس، ومن ذلك قوله: [102]

زرعَ الشَّيبُ بفوديّ الأسى
فنما منه كثيرٌ من قليلِ
فحسِبتُ البيضَ منها أنجماً
عن بياضٍ لاذَ منّي بالأفولِ

يبدو لنا ان علاقة الشاعر بالشيب علاقة صراع، يوقد الاسى، والاندثار، والتشظي نيران الاحساس بهواجسه المخيفة، وارتباطه بالفناء، والعدم، والموت فيشعر الانسان بعجزه التام امام قوته وجبروته، فيبدو اقباله على الحياة اقبالا ضعيفا يفقد تلك الحياة بهجتها، فيطغى على الشاعر الاحساس بالزوال والعدمية ويصل الخوف لديه الى درجة الاختناق وتزداد فعالية الاحساس به، ويظهر ذلك واضحا في بنائه النصي اذ يقول: [103]

غَمَرَ الشَّيبُ الدُّجى مِن لِمَّتي
بِنُجومٍ طُلِّعَ لَيسَتْ تَغور
لا نُشورٌ لِشَبابٍ بَعدَ ما
ماتَ مِن عُمري إلى يَومِ النُّشور
وَخِضابُ الشَّيبِ لا أَقبَلُهُ
إِنَّهُ في شَعَري شاهِدُ زُور

وعندما يتقدم العمر الزمني للإنسان يبلغ اليأس من الحياة اقصى درجاته في الشعور الذاتي للمبدع، وتبدو ملامح الحزن، والقلق، والخوف، والتوتر الذهني مهيمنة على احساسه الوجداني وهواجسه النفسية، وهذا دليل على تنامي الشعور بالعدم، والفناء، والذهاب واللاعودة وتزايد مشاعر الاسى، والاحساس بالزوال فتنمو الانفعالات النفسية الحزينة نموا مستقلا عن الانا الشعوري، وتثير هذه الاضطرابات ردود افعال على نحو معين يعكس التوترات الداخلية للنفس الانسانية واثارها الفسيولوجية ودلالتها الانفعالية وتغلغلها في اعماقه ومن ذلك قوله: [104]

فعوّضْتُ شيباً من شبابي كأنّني
تَوَلّيتُ عن ظلٍّ برغمي إلى الشمسِ
وقَطْعي بعيشٍ بعد ستّين حجّةً
أرى فيه لَبْساً والتخوّف في اللبسِ

ان لحظة الاحساس بالتحول والانتقال من مرحلة الشباب الى الشيب ادت الى ازمة شعورية حادة واطار نفسي خانق سلط الضوء على ابعاد التجربة الشعرية ودلالاتها المنبعثة عنها التي هيمن عليها الخوف والزوال والقلق « ذلك القلق الذي لا ينتاب الإنسان إلا حينما يعي وجوده وإمكانية تحطم هذا الوجود، وبالتالي احتمالية فقدان الإنسان نفسه وصيرورته إلى لا شيء» [105] ويمكن للدارس ان يلحظ بصورة لا تقبل الشك ازدياد حزن

ابن حمديس على شبابه، وهمّه على ما هو آت كلما تقدمت به مراحله العمرية، حتى يبدأ بنعيه لنفسه في كل مرة لان الاحساس بالوحدة يعشعش في قلبه ودنو الاجل يحف به من كل حدب وصوب، فلم يتبق أحدٌ من أحبابه على قيد الحياة، حتى يشعر بالحزن على موته فيبكي عليه[106]، وتكون علاقة الشاعر بنفسه أو صورة غيره، هي علاقة جدلية قوامها تحقيق الهوية الانتمائية بعد ما آمنت به من استحالة البقاء والدوام في الحياة الدنيا وبين اختلاف دنو تلك النهاية تبعا للمرحلة العمرية المتقدمة التي يصل الانسان فيها الى اعلى مستويات العجز والضعف وقرب الاحساس بالزوال والذهاب وعدمية الوجود، ومن ذلك قوله: [107]

ومن يرحلْ إلى السبعين عاماً
فمعترَكُ المنون له طريقُ
أرى القدَرَ المُتَاحَ إذا رآني
جريتُ جَرَى فكان هو السّبوقُ

وقوله: [108]

ومن حلّ في سبعين عاماً كأنَّهُ
عِلاجُ عليلٍ في مُواصَلَةِ النُّكسِ

يبدو اتساع دائرة الحزن والخوف والشعور بالتلاشي والزوال لدى ابن حمديس عندما بلغ من العمر (ثمانونَ عاماً) اذ يقول: [109]

ثمانونَ عاماً عِشتُها وَوَجَدتُها
تهدّمُ ما تبني وتخفضُ مَنْ تُعلي

الخاتمة

يقف البحث عند ظاهرة نفسية تكاد تشكل ملمحا اسلوبيا وتعبيريا مهيمنا في نتاج الشاعر ابن حمديس الصقلي الذي عاش الم الفراق واحس عذاب الغربة وعدمية الدنيا الفانية وهي الاكثر ظهورا في النص الشعري عند الشاعر موضوع البحث وهذه التجليات الزوالية وما يرتبط بها من ايحاءات نفسية احدثت عملية غير متزنة في الشعور والاحساس بين عالم الشاعر نزعاته ورغباته ومشاعره والاحساس بالوجود والعدمية وبين العالم الاخر (المجتمع) ويبدو ان الشعور بالزوال والاضمحلال والتيه والاغتراب الذاتي والغربة عن الوطن واضحا عند الشاعر بوصفه من اشهر شعراء الحنين والابتعاد عن الاوطان الذين عانوا الاغتراب النفسي والذاتي، فعاش في ذاته صراعا دائما بين الواقع المعاش والواقع المثال ومن كل هذه المتناقضات انبثق الفن ودواعيه الذي كان صورة معبرة صادقة لنفسيته المضطربة القلقة، و يعد المظهر الوجودي / الانساني احد ابرز معالم الزوال والتلاشي والعدمية وما ينبعث عنهما من حالة نفسية البؤرة الاساس التي تصور عوالم الشاعر الذاتية والوجدانية، ولعل

الموت ابرز تجليات الزوال التي شغلت فكر ابن حمديس ووجدانه الشعوري واخذ حيزا واسعا في فضائه الشعري وقد اقترنت دلالته بنهاية الحياة وفقدان الامل والعدم والفناء وقد اعتمد الشاعر الفن الاستعاري في بناء الصورة الشعرية عن طريق تشخيص الموت وتجسيده بهيئة انسانية (التشخيص الإيحائي)، وقد تشكل تلك الدلالة الشعورية مدعاة للإحساس بالانسلاخ من هذه الحياة ومناجاة الذات الشعورية المتأزمة، فهاجس الموت والفناء وصورة الاحساس بهما لم تفارق مخيال الشاعر، فقد وردت لفظة الموت وما يشتق من جذرها اللغوي اكثر من « 85 مرة» في ديوانه الشعري فضلا عن ذلك فقد تبين للبحث ان الشاعر موضوع البحث يحسن عملية الاتقان لمبادئ الجمال التأثيري للنص الادبي كما انه يحسن توظيف تقنيات التعبير التصويري والاسلوبي والثقافي وتؤدي حالته النفسية دورا بارزا في تشكيل رؤيته الابداعية تجاه المكان فيدركه ادراكا حسيا مباشرا ويحاول استذكار كل ما يرتبط بالمكان من علائق مادية ومعنوية. ولعل اهم التجليات التي تجسد علاقته بالمكان هو الوقوف على الاطلال وبكاء الديار والدمن التي اكتسبت المكان بعدا نفسيا يثير الاشجان والتداعي النفسي ، يبدو للبحث ان ابن حمديس الصقلي قد جاء بالوصف البدوي المتوارث للطلل ؛ لانه وجده ملائما في الصورة لحقيقة الذهاب والفناء والزوال، ومن اهم تجليات الزوال التي وقف عندها البحث احساس الشاعر بالزمن، لان الزمن بؤرة ازلية يمكن ادراكها والاحساس بها، واكبر الظن ان شعور الزوال والعدمية الذي يسطر على الانا الانسانية ارتبطت بشكل لا يقبل الشك بالزمن الذاتي / النفسي اكثر من ارتباطه بالزمن الفيزيائي، ثم ان عالم الخيال والطيف وخلق واقع جديد يتباين كليا وحقيقية الواقع المعاش عن طريق التوظيف الفني والنفسي، وعملية استدعاء الطيف، وحلم اليقظة، فالطيف والخيال حالة من التوهم الزائل المقيد بالذهاب والتلاشي وسرعة الزوال وقد رصد البحث ان الليل بلا شك جزء مجسد لمعاني الزوال والضياع والتيه والاحساس بالتلاشي والعدمية، الذي يتمكن من منابع الشعور في الانا المبدعة ويسيطر عليها، ومن مظاهر الزوال التي تتداخل مع هاجس الموت وتتماهى معه حديثه عن الشيب بوصفه رديفا لزوال والتلاشي والعدمية ونذيرا لهما، ويبدو لنا ان علاقة الشاعر بالشيب علاقة صراع، يوقد الاسى، والاندثار، وعندما يتقدم العمر الزمني للإنسان يبلغ اليأس من الحياة اقصى درجاته في الشعور الذاتي للمبدع، وتبدو ملامح الحزن، والقلق، والخوف، والتوتر الذهني مهيمنة على احساسه الوجداني وهواجسه النفسية.

the main meridian and vanishing and nihilism landmarks and emit them from a psychological state focus mainly depicting the worlds of self and emotional and sentimental poet، and perhaps death the most prominent manifestations meridian thought that ran son Ibn Hamdis and honorable, emotional and took ample space in Vdhaih poetry has been accompanied by significant at the end of life and Faqan hope and nothingness، and the yard was the poet adopted art metaphoric in building a poetic image through the diagnosis of death and incarnation humanitarian Authority (diagnosis suggestive)received the word death and is derived from the linguistic root over ((85 times))in his office، and play his psychological prominent role in shaping the creative vision to place Fadrickh perceptual direct and trying to recall everything that is linked to the place where its material and moral diets Perhaps the most important manifestations embodying relation to place is to stand on

Manifestations of disappearing in the hair Hamdis son of Sicilian (447AH /527AH)

critical vision

Assistant professor Dr. Hussein Majid Alhsona

Standing research when psychological phenomenon hardly constitute hinting stylistically and expressive dominant in the product Ibn Hamdis Sicilian poet who lived the pain of separation and felt the torment of alienation this mortal life and nihilism، the most visible in the poetic text when the poet research topic and the meridional manifestations and associated suggestions psychological caused process is balanced in a sense and a sense of the world of the poet instincts and desires and feelings and a sense of presence and nihilism and the other world (society)، and longer appearance existential / humanitarian one of

night undoubtedly reflected part of the meaning of transience and loss and wandering and the sense to fade and nihilism، which could headwaters of feeling in Alana creative and controlled، and the manifestations of the meridian that interfere with the obsession with death and identifies him Speaking about the graying as synonymous with death and dying and fading and nihilism and a harbinger for them, it seems to us that the poet relationship Baheib conflict relationship، kindles grief، and extinction، and when advancing chronological age of man is the despair of the maximum life his grades in the sense of self of the creator، and look features sadness، anxiety، fear, and mental stress on the dominant sense of emotional and psychological obsession

the ruins and crying Diar Waldman gained Location psychological dimension raises sorrow and psychological collapse، Seems to find that Ibn Hamdis Sicilians came description Bedouin legacy to adumbrate ; because he found it appropriate in the image to the fact go and yard and disappearing، and enables the search to find the most important landmarks disappearing sense of the poet in time، because the time the focus of eternal discernible and sense، and the largest conjecture that sense of transience and nihilism which underscores the human ego associated with a formidably self / psycho -time than with the physical -time، eight fantasy world and spectrum and create a new reality contrasts totally real reality for technical and psychological employment through، and the process of calling the spectrum, a waking dream. ، Valatif and imagination case of illusion obsolescent unrestricted go and vanishing and the speed of the meridian has been monitoring the search that

الهوامش----------

(1) ينظر: مظاهر الزوال في الشعر الجاهلي:21

(2) ينظر: اغواء التحليل النفسي: 210

(3) ينظر: ظاهرة الطباق دلالـة نفسية في شعر المتنبي: 51

(4) يراجع مظاهر الزوال في الشعر الجاهلي دراسة تحليلية: 20

(5) لسان العرب: مادة (زول)

(6) مظاهر الزوال في الشعر الجاهلي:21

(7) ينظر: مظاهر الزوال في الشعر الجاهلي دراسة تحليلية: 21 وينظر اسلوبية البناء الشعري دراسة اسلوبية لشعر سامي

مهدي، 154 نقلا عن مظاهر الـزوال في الشعر الجاهلي:21

(8) ينظر الخوف: 9

(9) ينظر إغواء التحليل النفسي:

(10) دراسات نفسية في التذوق الفني: 79.

(11) الديوان: 364 365

(12) ينظر: الصورة الشعرية 21

(13) ينظر مظاهر الزوال في الشعر الجاهلي دراسة تحليلية 21

(14) الديوان: 364

(15) ينظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) :192

(16) التجربة الشعورية في الشعر الاندلسي غربة ابن حمديس الصقلي انموذجا: 311، وينظر الادب العربي في الاندلس:359.

(17) الديوان: 530

(18) الموت والعبقرية: 27

(19) الديوان: 34

(20) ينظر مشكلة الانسان زكريا ابراهيم: 130

(21) ديوانه: 34

(22) المصدر نفسه: 522

(23) سورة يس / الاية (78 –79)

(24) ديوانه: 522

(25) المصدر نفسه: 522

(26) ينظر: علم الجمال: 53

(27) ينظر التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث:22

(28) لسان العرب: مادة (ححم)

(29) الديوان:522

(30) شعر الشريف الرضي دراسة فنية: 85

(31) ينظر: مقالات في الشعر الجاهلي: 297

(32) ينظر: النقد التحليلي:57

(33) ينظر: البلاغة والاثر النفسي دراسة في تراث عبد القاهر الجرجاني، :13

(34) ينظر تطور الصورة في الشعر العربي الحديث: 46، 49،

(35) الديوان: 522

(36) ينظر: المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص الرؤي والدلالة) :8

(37) الديوان: 477 478

(38) ينظر: قضايا الشعر المعاصر:242 / 243،

(39) ينظر: ظاهرة الطباق دلالة نفسية في شعر المتنبي:52

(40) ينظر: شاعرية المكان: 10

(41) ابن خفاجة وتشكيل النص الذات تبحث عن نفسها في اطاري الزمان والمكان:194

(42) ينظر: المكان في الشعر الاندلسي 20 ــ25

(43) الديوان: 307 308

(44) ينظر: الغربة والحنين الى الديار في الشعر العصر العباسي الثاني: 37 وشعر الوقوف على الاطـلال من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث:20،

(45) الديوان: 307

(46) ينظر: المكان في الشعر الأندلسي:50

(47) ينظر:اللون في الشعر الاندلسي:48 ومقدمة في علم الجمال:57

(48) ينظر:اللون في شعر ابن زيدون:31

(49) ينظر: مقدمة في علم الجمال:56

(50) ينظر الموقف النفسي عند شعراء المعلقات: 106

(51) الديوان: 305

(52) ينظر مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية: 62 و الاتجاه البدوي في الشعر الاندلسي 224ـــ225

(53) ينظر الامل واليأس في الشعر الجاهلي:104

(54) ينظر: فلسفة المكان في الشعر العربي (قراءة موضوعية جمالية) :8

(55) الديوان: 304 305

(56) ينظر المكان في الشعر الاندلسي 110

(57) الديوان: 305

(58) المصدر نفسه: 304

(59) المصدر نفسه: 526

(60) المصدر نفسه: 281

(61) ينظر التفسير النفسي للأدب:92

(62) ينظر قضية الزمن في الشعر العربي (الشباب والشيب) : 7 8

(63) ينظر الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة 52

(64) ينظر الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم: 119

(65) ينظر: الزمن في الرواية العربية: 11

(66) الزمن في شعر ابن حمديس:، 11 وينظر: الزمن في الادب: 49

(67) ينظر الزمن في شعر ابن حمديس: 3، وجدلية الفناء والخلود في عينية ابي ذؤيب الهذلي: 96و مفهوم الزمان في فلسفة ابن رشد: 9

(68) ينظر الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة: 68

(69) الديوان: 376

(70) المصدر نفسه: 376

(71) المصدر نفسه: 376

(72) مطلع القصيدة ودلالاته النفسية: 56

(73) التفسير النفسي للأدب:58

(74) الديوان: 6

(75) ينظر: مظاهر الزوال في الشعر الجاهلي: 38 39

(76) إنشائية حلم اليقظة (كوجيتو الحالم) ، (بحث) : 68

(77) الديوان: 453

(78) قصيدة المديح في الشعر الاندلسي من عصر المرابطين الى سقوط الاندلس دراسة فنية: 33

(79) الديوان:415

(80) المصدر نفسه: 337

(81) طيف الخيال علي بن الحسين بن موسى الشريف المرتضى: 16

(82) الليل في شعر الصعاليك من الجاهلية الى نهاية العصر الاموي: 19، وينظر الليل عند شعراء الجزيرة العربية في العصر الحديث:5

(83) الزمن في شعر ابن حمديس:17

(84) الديوان: 3 4

(85) المصدر نفسه: 155

(86) الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام: 274

(87) الاحساس بالزمان في الشعر العربي من الاصول حتى نهاية القرن الثاني للهجرة:ج1/ 261

(88) الديوان:265

(89) ينظر عالم الشاعر الجاهلي جابر عصفور (بحث) :70

(90) الديوان: 155

(91) جدلية الذات والاخر في شعر السجون: 154

(92) ينظر مظاهر الزوال في الشعر الجاهلي:44 و الزمن في شعر خليل خاوي: 24، والزمن في الادب:17

(93) مشكلة الانسان:80

(94) الموت في شعر السياب ونازك الملائكة: 201، وينظر ملحمة كلكامش: 21

(95) الديوان:347

(96) المصدر نفسه:347

(98) الامل واليأس في الشعر الجاهلي: 94

(98) الديوان:336

(99) المصدر نفسه: 3

(100) علي محمود طه الشاعر والانسان: 53

(101) ينظر: الانسان والزمان في الشعر الجاهلي: 111

(102) الديوان: 404

(103) المصدر نفسه:198

(104) المصدر نفسه: 286

(105) فلسفة المرأة محمود رجب، القاهرة: 115

(106) الخطاب الشعري في شعر ابن حمديس:63

(107) ديوانه :334

(108) المصدر نفسه: 281

(109) المصدر نفسه: 365

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن خفاجة وتشكيل النص الذات تبحث

عن نفسها في اطاري الزمان والمكان على الشرع مجلة دراسات مج 18 ع 3 الجامعة الاردنية عمان

- الاتجاه البدوي في الشعر الاندلسي، فوزية عبد الله محمد، اطروحة دكتوراه، جامعة ام القرى /كلية اللغة العربية، السعودية، 2010م
- الاحساس بالزمان في الشعر العربي من الاصول حتى نهاية القرن الثاني للهجرة علي الغيضاوي جامعة منوبة تونس 2001 م ج1/ 261
- الادب العربي في الاندلس د. علي محمد سلامة الدار العربية للموسوعات ط1 1989
- اسلوبية البناء الشعري دراسة اسلوبية لشعر سامي مهدي، ارشد علي محمد دائرة الشؤون الثقافية 1999
- اغواء التحليل النفسي جاك لكان ترجمة عبد المقصود عبد الكريم القاهرة المجلس الاعلى للثقافة والفنون 1999م.
- الامل واليأس في الشعر الجاهلي د كريم حسن اللامي دار الشؤون الثقافية العامة ط1 بغداد 2008
- الانسان والزمان في الشعر الجاهلي:: د. حسين عبد الجليل يوسف مكتبة النهضة المصرية 1988
- إنشائية حلم اليقظة (كوجيتو الحالم)، جاستون باشلار، مجلة الثقافة الأجنبية، ترجمة: أبو يعرب المرزوقي، العدد (2) السنة (2)، بغداد، 1982
- البلاغة والاثر النفسي دراسة في تراث عبد القاهر الجرجاني، عبد الله عبد الرحمن احمد (رسالة ماجستير)جامعة ام القرى 2002
- التجربة الشعورية في الشعر الاندلسي غربة ابن حمديس الصقلي انموذجا د. ستار جبار ارزيج مجلة جامعة المثنى العددان الاول والثاني اب 2012م.
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)محمد مفتاح ط1/ بيروت دار التنوير للطباعة والنشر 1985م.
- التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث د. محمد الصفراني النادي الادبي في الرياض ط1/ 2008
- تطور الصورة في الشعر العربي الحديث د. نعيم اليافي صفحات للدراسات والنشر دمشق سوريا ط1 2008
- التفسير النفسي للأدب، د. عزالدين سماعيل، دار غريب للطباعة، ط4، القاهرة.
- جدلية الذات والاخر في شعر السجون، رائد حميد مجيد، اطروحة دكتوراه، جامعة

البصرة، كلية الآداب، 2011 م.
- جدلية الفناء والخلود في عينية ابي ذؤيب الهذلي د. سمر الديوب مجلة جامعة دمشق مج27، ع 3، 4
- الخطاب الشعري عند ابن حمديس الصقلي (دراسة اسلوبية)، محمد كمال سليمان، رسالة ماجستير الجامعة الاسلامية، كلية الآداب، غزة، 2012م.
- الخوف صموئيل حبيب دار الثقافة القاهرة 1989 م.
- دراسات نفسية في التذوق الفني، شاكر عبدالحميد وآخران. القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1997.
- ديوان ابن حمديس الصقلي: صححه وقدم له د. احسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.
- الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم د. حسام الدين الالوسي المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1 1980 م
- الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة سعد عبد العزيز مكتبة الانجلو المصرية القاهرة 1970
- الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام، د.عبد الاله الصائغ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982 م.
- الزمن في الادب هانز مرهوف ترجمة اسعد رزوق مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1972 م
- الزمن في الرواية العربية: دمها حسن القصيراوي المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1 2004 م
- الزمن في شعر خليل خاوي، مكي نومان، مجلة اقلام / العدد الخامس / 1989
- شاعرية المكان د. جريدي المنصور دار العلم للطباعة والنشر السعودية ط1 1992
- شعر الشريف الرضي دراسة فنية حافظ كوزي عبد العالي (رسالة دكتوراه)كلية الآداب جامعة البصرة 1997م
- شعر الوقوف على الاطلال من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث دراسة تحليلية، د. عزة حسن، دمشق، 1968م.
- الصورة الشعرية س.دي لويس، ترجمة احمد نصيف جاسم واخرون، دار الرشيد للنشر بغداد، 1982م
- طيف الخيال علي بن الحسين بن موسى الشريف المرتضى تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ط1 / 1955،
- ظاهرة الطباق دلالة نفسية في شعر المتنبي، د. عبد الفتاح صالح نافع مجلة المورد العدد2 /1982 م.
- عالم الشاعر الجاهلي، د. جابر عصفور،

مجلة العربي، الكويت، العدد 429، اغسطس 1994م
- علم الجمال عبد الفتاح الديدي، مكتبة الانجلو المصرية، ط1 القاهرة 1981 م
- علي محمود طه الشاعر والانسان، انور المعداوي دار الجمهورية للطباعة والنشر بغداد 1965
- الغربة والحنين الى الديار في شعر العصر العباسي الثاني محمد عبد المنعم، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2008م
- فلسفة المرأة محمود رجب، القاهرة، دار المعارف، 1994م
- فلسفة المكان في الشعر العربي (قراءة موضوعية جمالية)د. حبيب مؤنسي منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2001
- قصيدة المديح في الشعر الاندلسي من عصر المرابطين الى سقوط الاندلس دراسة فنية هشام عبد الغني حميد اطروحة دكتوراه الجامعة الاسلامية بغداد 2005
- قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة منشورات مكتبة النهضة ط3 /1967
- قضية الزمن في الشعر العربي (الشباب والشيب)د. فاطمة محجوب دار المعارف
- لسان العرب:جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، 2003 م.
- الليل في شعر الصعاليك من الجاهلية الى نهاية العصر الاموي زكية عوض يوسف رسالة ماجستير جامعة الملك سعود 2009
- اللون في الشعر الاندلسي ، فيروز الموسى، رسالة ماجستير، جامعة البعث، سوريا، 2007م
- اللون في شعر ابن زيدون، شنوان يونس، جامعة اليرموك، 1999م.
- الليل عند شعراء الجزيرة العربية في العصر الحديث خالد ربيع الشافعي جامعة الملك سعود الرياض 2004
- المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص الرؤي والدلالة) عبد الله ابراهيم الدار البيضاء المغرب بيروت لبنان ط 1992
- مشكلة الانسان، د. زكريا ابراهيم، مكتبة مصر، د.ت
- مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية د. عبد الحليم حنفي الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987
- مظاهر الزوال في الشعر الجاهلي دراسة تحليلية، د.عبد الجبار حسن علي، مجلة كلية الاداب، ع104
- مفهوم الزمان في فلسفة ابن رشد عبد الرزاق قسوم المؤسسة الوطنية الجزائر 1986
- مقالات في الشعر الجاهلي يوسف اليوسف دار الحقائق / بيروت لبنان 1985 ط4
- مقدمة في علم الجمال، اميرة حلمي مطر

دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة د.ت
- المكان في الشعر الاندلسي عصر ملوك الطوائف، امل محسن سالم، اطروحة دكتوراه، جامعة ام القرى، السعودية، 2006م.
- ملحمة كلكامش ترجمة طه باقر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، 1977م.
- الموت في شعر السياب ونازك الملائكة دراسة مقارنة عيسى سلمان درويش، رسالة ماجستير، جامعة بابل / كلية التربية، 2003 م
- الموت والعبقرية: عبد الرحمن بدوي، دار القلم بيروت 1945 ص27
- الموقف النفسي عند شعراء المعلقات د. مي يوسف خليف دار غريب القاهرة
- النقد التحليلي محمد محمد عناني، الانجلو المصرية القاهرة د.ت

ملخص البحث

يتناول هذا البحث نصاً لغوياً مميزاً هو قصيدة (العشاء الأخير) للشاعر أحمد مطر إعتماداً على نظرية نحو النص، التي تعدّ من المناهج الحديثة في دراسة النصوص اللغوية؛ لاعتمادها آليات بحث تكشف عن التماسك بين أجزاء النص. وهو مايتناسب مع النص المختار لهذه الدراسة ؛ فهو من نتاج شاعر كبير مميز إنماز شعره بقوة التعبير وغزارة الدلالات عن طريق الإستعمالات اللغوية المميزة، التي استطاع من خلالها إضفاء صفة الإبداع على نصوصه الشعرية.

وقد كشفت هذه الدراسة عن وجود أربعة مظاهربارزة للتماسك النصيّ في هذه القصيدة، هي:(التكرار، والتضام، والإحالة، والحذف)، إذ ثبت من خلالها إجادة الشاعر صياغة النصوص الإبداعية وجعْلها تجسيداً صادقاً لقضايا الأمة ومعاناتها.

على أنَّ الأبــرز في تلك المظاهر هي(الإحالة)، التي بدت مهيمنة على أجزاء النص جميعاً؛ فأصبحت بذلك الملمح الأبرز في التماسك النصي في هذه القصيدة.

وقد تبيّن من خلال هذه الدراسة براعة الشاعر أحمد مطر في توظيف الإستعمالات اللغوية ودلالاتها داخل نصوصه الشعرية، وتضمينها موضوعات مهمة ومصيرية تصوّر حال الشعوب العربية ومأساتها في قياداتها التي تدّعي الكمال والبطولة الزائفة؛ فصار النص الشعري بمنزلة لسان حال الأمة وضميرها الناطق بهمومها.

وهو ما يعكس أهمية إعتماد منهج النحو النصيّ في دراسة النصوص الإبداعية المميزة؛ للكشف عن دلالاتها والمضامين التي تحتويها، وإظهار مزاياها التي تعطيها الفرادة والتميز عن النصوص الأخرى.